453

HARLEQUIN

روايات أحلام

يغزو أحلامي

كارول مورتيمر

www.elromancia.com
مرمورية

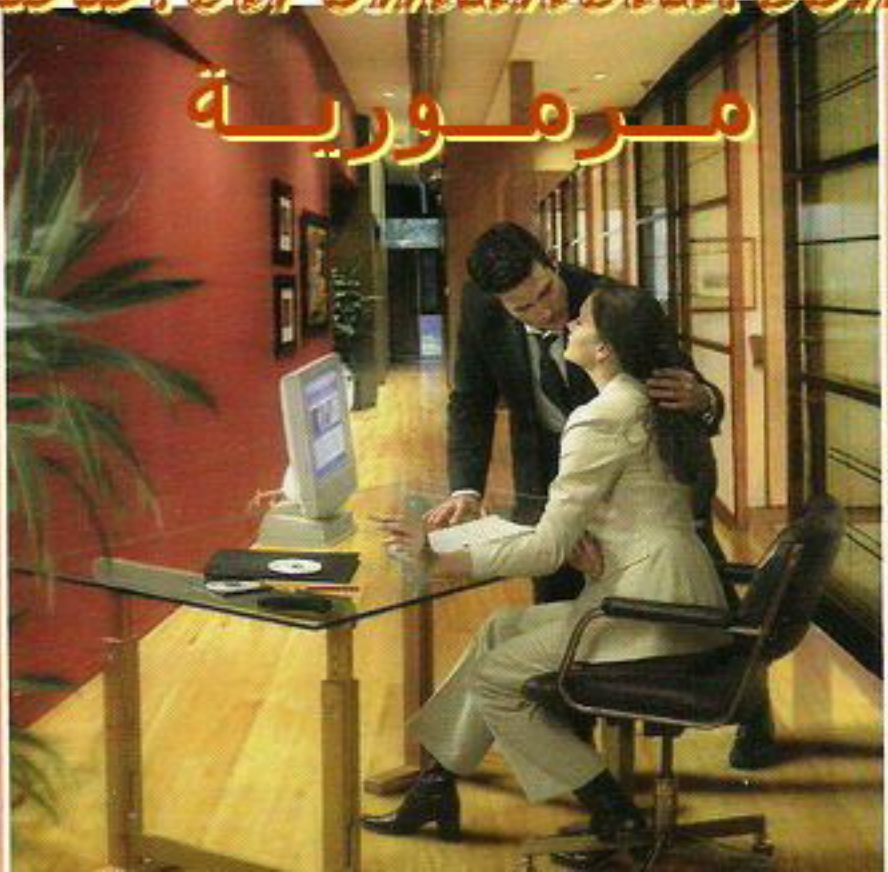

يغزو أحلامي

لا الألم ولا القلب المحطم هما ما منعا إيليا فير فاكس من دعوة باتريك ماك غراث لمرافقتها إلى الحفل السنوي الذي يقيمه مديرها.

فباتريك هو من فرض نفسه عليها بالقوة برغم كل احتجاجاتها.

في تلك الليلة كان باتريك يعتقد أن إيليا ما تزال متعلقة بصديقها القديم...

في تلك الليلة أرادت إيليا أن تؤكد له أنه كل ما تتمناه...

لكن هل يصمد حب إيليا اليافع أمام رياح الماضي وأسراره؟

لبنان	3000ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	100ل.س	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2.50دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

ISBN 978-9953-15-464-0

كارول مورتيمر

«ولدت في انكلترا، وكنت الابنة الصغرى بين ثلاثة أطفال، فلدي أخوان أكبر مني. بدأت الكتابة سنة ١٩٧٨، وكتبت حتى اليوم أكثر من ١٠٠ رواية لـ «ميلز أندبون».

لدي أربعة أبناء: ماثيو، جشوا، تيموثي وبيتر، وأملك كلبة من صنف «كولي» اسمها ميرلين. زوجي أيضاً أسمه بيتر، ونحن صديقان كما أننا متحابان، وهذا يجعل علاقتنا الزوجية ناجحة تماماً».

كارول

١ - سندريلا والحفل

أعلن توبي وهو يقف في باب المطبخ وقد علت وجهه الصبياني الجميل نظرة انتصار: «سندريلا» ستذهب إلى الحفل! وأول من سينعتني بالجنية العرّابة سيتلقّى صفعة على وجهه!».

رفعت إيليا نظرها عن الصحيفة التي كانت تقرأها وهي تجلس إلى طاولة المطبخ وقد ضاقت عيناها الزرقاوان لرؤية علامات الرضا الممتزجة بحمرة الخجل على وجه أخيها. وقالت مشككة: «توبي، ما الذي تتحدث عنه؟».

بدت عيناه شديدتي اللمعان ولم يكن لحديثه أي معنى!

قال ضاحكاً وهو يدخل المطبخ تاركاً الباب مفتوحاً على الرغم من البرد القارس: «أهكذا تكافئينني على إخراجك من وضعك الصعب؟».

ارتعشت إيليا رغماً عنها عند دخول الهواء البارد من باب المطبخ. ونظرت إليه بحنان بالغ قائلة: «أغلق الباب وراءك على الأقل يا توبي، أنت...».

رفعها بسهولة ودار بها في أرجاء المطبخ الضيق قائلاً: «ألم تسمعيني؟».

هزت رأسها وقد شعرت بدوار. أتراها الحماسة المعدية؟

قالت بضعف: «شيء ما حول سندريلا والحفل، لكن هلا توقفت من فضلك؟».

www.elromancia.com

كفّ عن الدوران وثبتها إذ بدأت تترنح وقال بنبرة امتزج فيها الفرح بالانتصار: «طلبت منه مرافقتك ووافق. ألم أخبرك أنه أحد الشبان الصالحين، حتى أنه سيمّر بنا في وقت لاحق من هذا المساء لنتكلم في التفاصيل. أليس هذا...؟».

قاطعته بنفاد صبر: «توبي هلا تمهلت وأخبرتني بهدوء ممن طلبت أن يفعل ماذا؟».

لكن إحساساً بالتشاؤم بدأ يسيطر عليها إذ خطر لها ما الذي يمكن لتوبي أن يكون قد فعله. لا لم يفعل ذلك حقاً ولِمَ يفعل؟ لا بد أنه يمزح.

رفع توبي يديه عنها وأطلق ضحكة انتصار ثم تناول تفاحة من الوعاء وسط طاولة المطبخ وبدأ يقضمها بشهية ومتعة تامتين.

سألته بلهجة محذّرة: «توبي هلا أخبرتني ما الذي فعلته بالضبط؟».

مع أن إحساسها أنبأها بالجواب الأكيد. واجه توبي نظراتها بعينين زرقاوين بريئتين وقال برضى عارم: «طلبت من باتريك مرافقتك إلى حفل العشاء الذي تقيمه الشركة».

أتى صوتها يردّد كلامه: «باتريك..؟».

اتسعت عيناي توبي وهو يقول: «أجل باتريك ماك غراث، رئيسي في العمل. كنا نناقش المسألة في عطلة نهاية الاسبوع وقلت إنك بحاجة لشخص ذي نفوذ مثل باتريك لمرافقتك إلى الحفل. وهكذا...».

قاطعته وهي تنهار على أحد كراسي المطبخ محدقة فيه غير مصدقة: «لم أكن جادّة في هذا الخصوص توبي!».

كانت تكبره بعام واحد فقط لكنها تشعر أحياناً أنه يصغرها بعشر سنوات!

سرعان ما سيحلّ موعد حفل عشاء عيد الميلاد الذي تقيمه الشركة هذه السنة. ولكن الأمر تحوّل إلى ما يشبه المأساة بعد انفصالها حديثاً عن غاريث المحامي، الشريك الشاب الذي كانت تعمل معه في الشركة. عدم ذهابها إلى الحفل سيوحي بأنها جبانة جداً بحيث لا تستطيع أن تواجه غاريث وصديقته الجديدة. لكن ذهابها وحيدة سيجعلها تبدو وكأنها لا تزال شديدة التعلق به، وهذا ما لم تكن تشعر به حتماً!

وهكذا، وفي عطلة نهاية الاسبوع المنصرم وخلال تناولها العشاء مع توبي أشارت إلى أنها تحتاج لشخص مثل باتريك ماك غراث، رجل الأعمال الغني ورئيس توبي كي يرافقها إلى العشاء. لن يخطر لأحد وهي بصحبة هذا الرجل أنها لا تزال تهتم لأمر غاريث. باتريك ماك غراث، الشاب الوسيم الطويل والناجح هو الرجل المثالي لمحو أي شكوك قد تساور أحدهم بشأن مشاعرها نحو غاريث.

لكنها اعتقدت أن توبي أدرك أنها لم تكن تعني ما قالته!

أغمضت عينيها متألمة غير مصدقة وسألت بيأس: «أرجوك توبي، أرجوك قل لي إنك لم تطلب من باتريك ماك غ3اث الخروج معي الاسبوع المقبل».

أخذ توبي وقته في قضم التفاحة مجدداً وقال بنبرة غير أكيدة وقد خبت نظرة الانتصار بعد أن لاحظ أخيراً عدم حماسة إيليا الواضحة: «لم افعل؟».

وكررت بحزم: «لم تفعل أم فعلت!؟».

لم تلتقِ رئيس توبي سوى مرّة واحدة منذ خمسة أشهر. وما من شك أن باتريك ماك غراث كان فاحش الثراء عالي الثقة بالنفس وأهلاً للاحترام! لكنه آخر من تتمنى إيليا أن يطلب منها الخروج!

بدت الحيرة على وجه توبي وهو يقول: «لكنك عشية الأحد،

قلت...».

وقفت إيليا وشرعت تذرع المطبخ الضيق قائلة: «لم أكن واعية تماماً لما أقول توبي، كما لم أكن جادّة. لم أعنِ حقاً ما قلته. فكرت وحسب بآخر الأشخاص الذي يمكن أن يرافقني...».

أنهى توبي حديثها: «وبأن باتريك ماك غراث سيكون الأفضل لمرافقتك إلى حفل العشاء يوم الجمعة».

انقبضت فجأة وقد تذكرت أنه يردّد كلماتها تماماً. لكن الوضع يتطلب حلاً جذرياً لظروف غير عادية. رأت أن باتريك ماك غراث هو الرفيق الأفضل، لكن هذا هو الحل الأكثر تطرفاً. ولم تتوقع بالطبع أن يتصرف توبي كما فعل! قالت بنبرة ضعيفة: «أرجوك يا توبي، قل لي إنك لم...».

أجابها بنفاد صبر: «بل فعلت. طلبت منه مرافقتك ولا أفهم ما المشكلة طالما أنه وافق!».

لا يفهم...! المشكلة أن إيليا شعرت بأنها تافهة وذليلة تماماً. لم يكن لديها أي نية في .... حدقت بسخط في أخيها وقالت: «توبي، يمكنك أن تتصل بالرجل حالاً وتخبره بألا يأتي إلى هنا هذا المساء وأنك اقترفت خطأ وأن أختك لا تحتاج لمن يرافقها يوم الجمعة المقبل أو في أي يوم آخر وأنها حين تحتاج أحداً فستجده بنفسها. أشكرك كثيراً».

اشتعلت عيناها غضباً لمجرّد التفكير في مدى الإذلال الذي ستشعر به إذا التقت باتريك مجدداً.

شعرت وكأن شعرها الداكن المسترسل على كتفيها يتكثر من قوّة غضبها وأن السخط أخذ كل مأخذٍ منها.

- ولكن...

كررت قولها ببرودة غاضبة: «اتصل به توبي. اتصل بباتريك ماك

غراث فوراً وأخبره!».

أجاب صوت من ورائها باستمتاع كسول: «أعتقد أن ما يحاول أخوك أن يقوله لك هو أن ما من حاجة للاتصال بي لأني أقف هنا».

استدارت إيليا في مكانها واضطرت لرفع رأسها للنظر في ملامح وجه باتريك ماك غراث الواثقة. ولم ترغب قط في أن تبتلعها الأرض كما أرادت الآن!

إنه باتريك ماك غراث نفسه!

طويل، وغامض بشعره القصير، ووسيم بعينيه الرماديتين وأنفه الملتوي تكبّراً وشفتيه المبتسمتين. كانت بشرته برونزية رغم أن الفصل هو الشتاء، حتى ملابسه غير الرسمية التي ارتداها لهذا المساء وهي عبارة عن سروال جينز وسترة سوداء حريرية حملت اسم مصمم شهير فيما انتعل حذاءً جلدياً صُنع يدوياً من دون أدنى شك. قال بنبرة ناعمة: «إيليا، ماذا أردت من توبي أن يخبرني؟».

حاولت أن تتكلم، كانت تودّ حقاً أن تقول شيئاً لكن بدا أن الكلمات ترفض الخروج من حنجرتها!

وتبرّع باتريك بالإجابة فقال: «ربما تفاصيل سهرة يوم الجمعة المقبل؟».

ما زال توبي لا يملك أدنى فكرة عما حصل لها بعد أن التقت هذا الرجل مرة واحدة، ولم تخبره إيليا. ومع مرور الأيام والأسابيع من دون أن يذكر توبي شيئاً عن اللقاء، اقتنعت بأن باتريك ماك غراث لن يخبر أخاها بكافة تفاصيل اللقاء أيضاً.

لكن إيليا لم تكن لتنسى تلك التفاصيل!

كان فصل الصيف حاراً بشكل غير اعتيادي تلك السنة، فارتدى الجميع أقل ما يمكن من الملابس. وقررت إيليا تمضية بعد ظهر يوم

السبت في حديقة المنزل الخلفية المعزولة حيث تأخذ حمام شمس.

أنّى لها أن تعرف أن باتريك ماك غراث يتصل منذ أكثر من ساعة محاولاً التحدث إلى توبي؟ وأنه سيأتي إلى المنزل شخصياً حين لم يتلقَّ أي جواب أو أنه سيخرج إلى الحديقة بعد أن وجد المنزل مفتوحاً والمنزل خالٍ؟

تعثرت إيليا كالمجنونة وهي تحاول الوصول إلى المنشفة لتلف بها جسمها بعد أن أدركت أنها لم تعد وحيدة لكنها لم تكن سريعة بما يكفي لمنعه من تأملها بتمعّن.

وعلى الرغم مما قالته ليلة الأحد، كان باتريك ماك غراث آخر رجل تودّ مرافقته إلى أي مكان!

أخذت نفساً عميقاً قبل أن تقول: «توبي كان... ارتكب توبي خطأً عندما طلب منك ... أنا آسفة لإزعاجك سيد ماك غراث».

كانت تتكلم بشكل متقطع وهي تنظر إلى الزر الثاني من قميصه الحريري الأسود وأضافت: «لم أقصد أبداً أن...».

توجه باتريك ماك غراث إلى الشاب الأصغر سناً قائلاً: «توبي لِمَ لا تعد لنا بعض القهوة؟».

ثم أضاف متوجهاً إليها بتهكم: «بينما نناقش أنا وإيليا ما اذا كانت تريد مرافقتي يوم الجمعة».

أسرع توبي ليحضر القهوة فيما رمقت إيليا باتريك ماك غراث بنظرات معنفة. لعله يجد الأمر مضحكاً لكنها لا تجده كذلك أبداً. وكأن ثمة امرأة في الكون بأسره يمكن أن تطيق هذا الرجل أو تتحمله!

لكنهما بحاجة لتوضيح الأمور وتوّد أن تفعل ذلك على مسمع أخيها الأصغر سناً، صاحب النوايا الطيبة الذي لا يستعمل دماغه. قالت برشاقة وقد استعادت بعضاً من الثقة بالنفس: «لنذهب إلى

غرفة الجلوس سيد ماك غراث».

كانت في السابعة والعشرين من عمرها وهي ترعى توبي منذ قتل والداها في حادث سيارة قبل ثماني سنوات، وتدير شؤون المنزل والعائلة وتعمل كسكرتيرة في إحدى شركات المحاماة بدوام كامل.

كانت أكثر من ناضجة لتتعامل مع الوضع.

حسناً... من الطبيعي مبدئياً أن تتمكن من معالجة الوضع. اعترفت بذلك بينما وقف باتريك ماك غراث وسط غرفة الجلوس ينظر إليها بعينين قاسيتين ضاحكتين.

كيف يمكن لتوبي أن يعمل مع هذا الرجل؟ كان يملك من الحضور والثقة بالنفس ما يجعل التواجد معه في الغرفة ذاتها قاهراً، لكنها تعلم أن توبي يرى هذا الرجل رائعاً ويستمتع تماماً بالعمل معه كمساعده الخاص.

لعل النساء فقط يجدنه قاهراً!

حسناً... امرأة واحدة على الأقل تجده كذلك. لو لم يرها هذا الرجل تتشمس...

ضعي حداً لهذه الافكار يا إيليا!

إن كان عليها توضيح الأمور فيجب أن تضع تلك الذكرى المحرجة جانباً، وقد يساعدها إن فعل باتريك ماك غراث الأمر نفسه...

لكن الكلمات التي تلفظ بها أظهرت أنه لا ينوي ذلك.

قال بنعومة: «أعتقد أننا لم نتعرّف إلى بعضنا بشكل رسمي».

وبدا لإيليا أنه شدّد على عبارة «بشكل رسمي». أنّى لها أن تعرّف عن نفسها بشكل رسمي وهي تبحث عن منشفة تلف بها جسمها؟

أجابت بسرعة: «ربما، لكني واثقة من أنك تعلم أني أدعى إيليا فيرفاكس، وأنا شقيقة توبي الكبرى. عرفت أنك باتريك ت. ماك

غراث رئيس توبي في العمل».

أومأ برأسه وقال: «ت. هي اختصار لتيموثي. وإيليا؟».

أجابت باختصار: «إليزابيث، لكن ما...».

هز كتفيه متابعاً: «قد يرد في الحديث يوم الجمعة».

ردّت بغضب: «سيد ماك غراث، لن يكون هناك أي يوم الجمعة. ليس لدي أدنى فكرة عما قاله لك أخي غير المسؤول، لكن ...».

قاطعها باتريك برقة: «إنه يحبك كثيراً».

شعرت بوجنتيها تحمران لتعليقه غير المتوقع وهزت رأسها قائلة: «وأنا أحبه أيضاً لكني لا أعتقد أن لذلك علاقة بحديثنا الآن».

اقترح باتريك: «أتعتقدين أن علينا أن نجلس يا إيليا إذ نبدو كعدوّين في حلبة صراع؟».

هذا تماماً ما يجعلها تشعر به، أنها على خط الدفاع! قالت تدعوه بسرعة: «اجلس من فضلك!».

فأجاب بتهذيب: «من بعدك».

نظرت إيليا إليه بنفاد صبر فوجدت أنها محط اهتمام باتريك ماك غراث الذي انتظرها لتجلس قبل أن يفعل.

عادات جيدة قديمة الطراز كصفات الرجل الأخرى كلها!

جلست إيليا بسرعة وبدأت تقول بنبرة سريعة وقد توقفت عن النظر إليه وعن التساؤل عن معنى ابتسامة باتريك ماك غراث: «أفهم أن نوايا توبي كانت حسنة حين تحدّث إليك اليوم...».

ظل يبتسم وهو يقول باحترام: «آسف، لكن توبي هو أحد الأشخاص الأقل أنانية الذين رأيتهم في حياتي. كما أنه صادق تماماً وأهل للثقة وصريح للغاية. لقد فعلت الكثير من أجله يا إيليا».

شعرت بحرارة أكبر تغزو وجنتيها لإطرائه غير المتوقع: «يسرني أن

يعمل بشكل جيّد».

قاطعها بنفاد صبر وحزم قائلاً: «لم أكن أتكلم عنه كمساعدي الشخصي. توبي شاب استثنائي، والفضل في ذلك يعود لك».

ابتسمت بسخرية قائلة: «اعتقد أن والديّ أسهما في ذلك».

هز رأسه وقال: «قتل والداك حين كان توبي في الثامنة عشرة، وهو عمر خطير بالنسبة لشاب ترك من دون إرشاد».

قطبت إيليا جبينها: «كنت محقاً بشأن صراحة توبي!».

كلامه جعلها تتساءل عن الأمور العائلية الأخرى التي أسرّها توبي لماك غراث.

نظر إليها متسائلاً: «عليك أن تكوني فخورة به، وليس...».

- ها قد أتيت.

كانت ابتسامة توبي عريضة وهو يفتح الباب بقدمه ويدخل حاملاً صينية القهوة.

نظرت إليه إيليا بحنان. إنها فخورة به وبقراره إكمال دراسته في الجامعة حيث درس الحقوق بعد حصول الحادث الذي أودى بحياة والديه. كما كانت فخورة بتفوقه في صفه، وعمله بجهد مع شركة المحاماة لسنتين قبل أن يحصل على وظيفة لدى باتريك ماك غراث. أجل، إنها فخورة به بالفعل، لكنها تمنت لو انها علّمته أن يكون أقل صراحة في ما يختص بشؤونهما الخاصة!

نظر إليهما بعد أن وضع الصينية على طاولة صغيرة وقال: «هل سويتما الأمور؟».

كان ماك غراث من أجابه بخشونة: «تقريباً».

كانت إيليا ممتنة لما قاله عن دورها في جعل توبي رجلاً صالحاً، لكن هذا لا يعني أنها ستوافق على الخطة السخيفة التي تقضي بأن يرافقها باتريك ماك غراث إلى حفل العشاء الذي ستقيمه الشركة!

أكدّ باتريك للشاب: «لا يزال علينا وضع النقاط على الحروف».

بدا توبي راضياً عن مسار الحديث فوقف قائلاً: «حقاً؟ لدي موعد على العشاء، لذا سأصعد لأغيّر ملابسي بينما تتحدثان. سأعود بعد بضع دقائق».

واستدار مغادراً الغرفة. تمتم باتريك ماك غراث برقة: «أترين ما أعني؟ إنه أشبه بجرو صغير أو أخ صغير لا تودين تخييب أمله».

ذكّرته إيليا بغضب: «إنه فعلاً أخي الصغير، وأخشى أني سأخيب أمله هذه المرة».

نظر إليها باتريك ماك غراث بعينين باردتين وسألها: «لماذا؟».

بدأت تقول بنفاد صبر: «حسناً، لأنه يا سيد ماك غراث...».

قاطعها بنعومة قائلاً: «ناديني باتريك».

لفظت اسمه بحزم: «حسناً جداً، باتريك!».

وفاجأها بسؤاله: «هل حدث أي تغيير منذ أن تحدث توبي إليّ بعد الظهر؟ هل أصلحت أنت وصديقك ذات البين، فإن فعلت...».

قاطعته بحزم وقد شعرت بحدّة غضبها ترتفع مع مرور كل دقيقة لأن الأمور تفلت من يديها أكثر وأكثر: «كلا، لم نصلح ذات البين ولن نفعل مطلقاً لكن هذا لا يعني...».

أنهى باتريك جملتها ببطء: «أن عليك الذهاب إلى العشاء برفقتي. هل تفكرين في مرافقة شخص آخر؟».

- كلا، لكن...

- أين المشكلة إذن؟ طلب مني أخوك ووافقت...

- بدأت تبدو كتوبي الآن، لا يمكن أن تكون جاداً بشأن مرافقتي إلى عشاء الشركة الممل؟

- ولم لا؟

أكدت له بقوة: «لأن الأمر سيكون مملاً!».

ما بال هذا الرجل؟ ألا يستطيع أن يفهم أنها لا تريد مرافقته؟

التوت شفتاه في شبه ابتسامة وقال بسرعة: «إيليا أعتقد أنك تقللين من قدرك!».

قاطعته وقد استحالت وجنتاها حمراوين: «لم أكن... اسمع باتريك، لم يكن يجدر بتوبي أن يخبرك بأمور تتعلق بحياتي الخاصة لأنها تخصني وحدي. وبصراحة تامة إنها...».

أنهى جملتها وقد لاحظ دون شك احمرار وجنتيها: «محرجة نوعاً ما؟».

نوعاً ما؟ إنه أسوأ ما قد يفعله بها توبي. لا بأس بأن يكون صادقاً وجديراً بالثقة، لكن عليها أن تناقش معه مسألة صراحته الزائدة!

تنهدت إيليا وقالت: «أجل، إنها محرجة. اسمع، ليس لدي أدنى فكرة عن سبب إصغائك لاقتراح توبي رغم تقديرك له كموظف، هذا لئلا أقول تفكيرك في قبوله».

كانت منزعجة من كلا الرجلين ولم تكن تمانع في أن يدرك باتريك ماك غراث حقيقة ما تفكر فيه.

واجه نظراتها من دون أن يرف له جفن قبل أن يهمس أخيراً: «ألا تستطيعين أن تدركي السبب؟».

قطبت جبينها. أكان هذا طيف ابتسامة ما رأته يطوف على زاويتي شفتيه؟ وهل تلك هي نظرة العارف التي رأتها تلوح في عمق عينيه؟

وفجأة، عادت بالذاكرة إلى خمسة أشهر مضت، إلى رعبها خلال البحث عن منشفة بعد أن أدركت أنها لم تعد وحيدة. حينذاك، اتسعت عيناها دهشة وهي تحدق في الرجل الواقف في الحديقة يراقبها

والتسلية تملأ عينيه الرماديتين

العينان الرماديتين اللتان ترمقانها عبر غرفة الجلوس الآن!

وتشدّق باتريك قائلاً: «لمَ يجب أن تكوني أنت من يشعر بالخجل لأن رجلاً غبياً لم يقدّر ما لديه؟».

كانت كلماته تحمل الإطراء في طياتها، لو استطاعت أن تفهم قصده. أكدت بلامبالاة وهي تهز رأسها بقرف: «لا أشعر بالإحراج لهذا السبب. إنّ علاقتي مسألة شخصية. لا يمكنني أن أتصور أن توبي كان غير متحفظ إلى حدّ أن يطلب منك أن ترافقني إلى حفل العشاء الأسبوع المقبل».

- وهل كنت لتطلبي ذلك بنفسك؟

- بالطبع لا.

ما خطب هذين الرجلين؟ ألا يستطيعان أن يفهما أن اعتقادهما أنها غير قادرة على أن تجد شريكاً بنفسها أمر مذّل بحدّ ذاته؟

فقال باتريك بخفة: «حسناً، بما أنه لم يكن لدي أدنى فكرة عن العشاء قبل أن يخبرني توبي عنه، فمن الطبيعي ألاّ أكون الشخص الذي سيطلب منك مرافقته».

وكأنه كان ليسألها أصلاً. من الواضح أنه وافق على الاقتراح من أجل توبي وحسب.

وكرّر باتريك عندما رآها ستصّر على موقفها مجدداً: «اسمعي، لم يقصد توبي أي سوء، إنه قلق فقط على سعادتك».

اعترضت: «ليس لديه سبب ليفعل. أنا في السابعة والعشرين من عمري ولست في الثانية عشرة».

التوت شفتاه في ابتسامة مثيرة للسخط والغيظ وقال: «لا أظن أن أحداً يعارضك بشأن نضجك، إيليا».

لا بد أنه تذكر ذلك اليوم تماماً كما فعلت.

وصمت لحظة ثم أضاف: «إن كنت واثقة تماماً من أنك لا تحتاجين لأن أرافقك يوم الجمعة المقبل؟».

أجابت بحزم: «واثقة».

على قدر ما كانت ترغب في تأبط ذراع هذا الرجل الجذاب الناجح إلى المطعم، ولو لرؤية الدهشة ترتسم على وجه غاريث، على قدر ما أدركت أنها لا تستطيع ذلك في ظل هذه الظروف.

وقطبت قبل أن تقول: «لا يعني هذا أني لست ممتنة لك».

- حسناً من الواضح أني أضيع وقتك، أنا واثق من أنك تستطيعين شرح الوضع لتوبي حين ينزل. قولي له إني حاولت على الأقل...».

ذكرته بتكلف وهي تدرك أنها لم تكلف نفسها عناء سكب فنجان له: «قهوتك...».

ابتسم ابتسامة خالية من المرح وقال: «كلانا يعلم أنها كانت مجرّد حجة لإبقاء توبي منشغلاً فيما نتحدث».

تنهدت إيليا مجدداً وهي ترافقه ليخرج من الغرفة: «أجل».

توقف باتريك عند الباب ليقول بنبرة مشجعة رقيقة: «لا تكوني قاسية مع توبي. إنه يشعر بمسؤولية حيال سعادتك».

أكدت له بجفاء: «سأحاول أن اتذكر ذلك».

واعترفت لنفسها بضعف أنه الرجل الأكثر وسامة، بطوله الفارع وقامته الممشوقة!

فقال بنبرة هادئة: «تعلمين أين تجدينني في حال غيّرت رأيك...».

كان وسيماً من دون شك، وفي مرافقته لها وإنقاذ لكبريائها. لكنها لا تنوي أبداً استغلال عرضه!

أكدت له: «لن أفعل».

أنّى لإيليا أن تعرف أو تتكهن بأن الاسبوع المقبل سيحمل لها مصيبة، حتمت عليها ليس تغيير رأيها وحسب بل الذهاب إلى مكتب باتريك بنفسها لتطلب منه أن يرافقها إلى حفل العشاء.

٢ - من دون شكر

- كيف أبدو؟

انقبضت عضلات وجهها وهي تدخل إلى المطبخ وتنظر إلى توبي الذي كان يتناول العشاء الذي حضّرته قبل أن تستعد للخروج.

أكد لها بنبرة متحمّسة وهو يتأملها بشكل مغيظ: «تبدين رائعة، أهو فستان جديد؟».

بالطبع هو كذلك، لا يمكنها الخروج مع باتريك ماك غراث وهي ترتدي فستانها الأسود القديم الذي لبسته لحضور حفل عشاء السنة الماضية. كصديقة لباتريك عليها أن ترتدي ثياباً أكثر عصرية وملفتة للانتباه. وقد ادركت ما أن رأت الفستان الأحمر الذي يصل إلى ركبتها أنه سيؤكد للحضور أنها تجاوزت علاقتها بغاريث وسيبدد أي سوء فهم قد يساور أحدهم لا سيما بوجودها مع باتريك ماك غراث!

سألت توبي مشككة: «هل أعجبك؟».

أدركت منذ بضع دقائق حين نظرت إلى نفسها في المرآة أن الفستان ملفت للنظر أكثر من أي ملابس ارتدتها من قبل بلونه الأحمر وتصميمه الضيق الذي يبرز قوامها الجميل، لاسيما وأنه من دون كمين ومفتوح عند الصدر ما يعكس بشرتها التي لا تزال تحتفظ ببعض من سمرتها منذ الصيف.

رفعت شعرها ما أظهر طول عنقها. كما أن تغيير تسريحة شعرها

www.elromancia.com

أبرز بوضوح اتساع عينيها وطول رموشها.

وضعت بعض اللون على وجنتيها فيما اختارت احمر شفاه يتلاءم لونه تماماً مع لون فستانها.

لاحظت إيليا كل هذه الأمور في مرآة غرفتها منذ بضع دقائق فغادرتها بسرعة قبل أن يتسنى لها الوقت لتعيد التفكير في مظهرها وتتخذ قرار العودة إلى الفستان الأسود.

نظر توبي إليها بإعجاب قائلاً: «تبدين رائعة الجمال أختاه. سوف تبهرينه».

قطبت وقالت: «توبي، أنا لا أسعى إلى جذب باتريك ماك غراث».

همس بنبرة تحمل معانٍ: «كنت أقصد غاريث».

كررت بنبرة ضعيفة وقد شعرت باحمرار وجنتيها لارتكاب هذا الخطأ: «آه غاريث...».

لقد نسيت غاريث تماماً وهي تستعّد لهذه الامسية، وهذا أمر سخيف لأنه السبب الذي تكبدت من أجله هذا العناء كله. وهو السبب الذي جعلها تتخلى عن كبريائها وتذهب إلى باتريك لتخبره أنها غيرت رأيها. لم يتفاجأ الرجل أبداً أو يرف له جفن حين ظهرت في مكتبه من دون موعد مسبق لتسأله ما إذا كان يوافق على مرافقتها ليلة الجمعة.

تصرفت مدفوعة بالغريزة، مدركة أنها إذا أعادت النظر في مسألة ذهابها إليه فستغير رأيها. وقد أدهشها التعليق الذي افتتح به لقاءهما.

وضع قلمه الذهبي على الأوراق قبل أن يبتسم لها ويقف بينما أغلقت السكرتيرة الباب وراءها. قال: «كنت أتوقع قدومك».

قطبت جبينها وسألت: «هل كنت تفعل؟».

كيف أمكنه أن يتوقّع مجيئها في حين أنها لم تكن تفكر منذ نصف ساعة فقط في أن تأتي إليه؟

أوماً يقول بنبرة المحتال: «يمكنك أن تسمي المسألة حدساً. تعلمين أنه يمكنك الجلوس إيليا».

أدركت أنه يبدو مختلفاً اليوم، إذ بدا بمظهر رجل الأعمال الناجح الذي يبلغ الثامنة والثلاثين من العمر. كان يرتدي بذلة رسمية رمادية وقميصاً حريرياً أبيض مع ربطة عنق معقودة بعناية.

لم تحاول الجلوس في الكرسي الذي أشار إليه إذ أدركت أنها ارتكبت خطأً بمجيئها إلى مكتبه اليوم وأنه كان عليها أن تفكر ملياً في الأمر.

قال بسرعة: «ما زلت حراً ليلة الجمعة إن كان الأمر يهمك».

اتسعت عيناها وهي تقول: «أحقاً؟».

أوما وسأل: «هل يهمك الأمر؟».

ابتلعت ريقها بصعوبة متمنية لو تستطيع القول إن الأمر لا يهمّها، لكنها كانت تعلم أنها تحتاج لوجود هذا الرجل بجانبها ليلة الجمعة، ولو ليقدّم لها الدعم المعنوي وحسب. قال بعد أن ظلت صامتة: «إيليا؟».

اعترفت: «يهمني الأمر!».

سألها باستغراب: «هل حصل شيء؟».

هل حدث أمرٌ يا ترى!.

وقف باتريك ليسكب لها فنجان قهوة ويقدّمه لها قائلاً بمكر: «أعتذر لعدم وجود ما هو أقوى من القهوة لحالتك».

لم تختر أن تشرب القهوة لأنها تجعلها تشعر بأي تحسّن بل لتشغل يديها المرتجفتين.

أدركت أن يديها باردتان وهي تعتصر الفنجان. كانت الثلوج قد

بدأت بالتساقط هذا الصباح، لكنها في غمرة حماستها نسيت أن تحضر معطفها وقفازيها من المكتب قبل مغادرتها.

أصّر باتريك: «هل من شيء يجب أن أعرفه؟».

سارعت تؤكد له: «أي شيء؟ لا يتعلق الأمر بتوبي إن كان هذا ما يقلقك».

تجاهل باتريك كلامها وقال بلطف: «لم أظن ذلك للحظة، فتوبي في نيويورك اليوم مع موظف آخر. أتمنى لو تجلسين إيليا».

إيليا والفنجان يتمايل بشدة في يدها.

عاد باتريك وجلس في كرسيه وراء المكتب قائلاً: «خذي وقتك، لا مواعيد لدي قبل بضع ساعات».

قاطعته بشكل سريع وقد شحب وجهها: «لن يستغرق الأمر طويلاً».

وصمتت لحظة ثم أضافت: «صديقي السابق ينوي إعلان خطوبته أثناء حفل العشاء نهار الجمعة».

تمتم باتريك متفهماً: «الآن فهمت».

رمقته إيليا بنظرة حادة وسألته: «أحقاً لا يزعجك هذا؟».

وعادت تقول عندما رأت حاجبيه يرتفعان: «اسمع سيد، أعني باتريك، لا أعرف ما الذي أخبرك إياه توبي عن علاقتي بغاريث، لكن...».

أكد لها بنبرة جافة ونظرات مشككة: «لم يخبرني شيئاً مطلقاً. فتوبي متحفظ جداً حين تدعو الحاجة وإلا لما بقي كمساعد لي كل هذا الوقت».

غضنت إيليا وجهها وقالت: «أجل، حسناً كنت أنا من أنهى العلاقة بغاريث».

قطب باتريك بدوره وسأل: «لماذا إذاً...؟».

تذكرت ما حدث بقرف فقالت وهي تهز رأسها: «أخبر كل العاملين في الشركة أنه هو من قطع علاقته بي، وقد شوهد مع امرأة أخرى بعد بضعة أيام فقط. لو حاولت أن أنقض قصته لبدوت كامرأة هجرها حبيبها بازدراء».

سألها باتريك باهتمام: «أود من باب الفضول فقط أن اسألك لما توقفت عن رؤيته؟».

أخذت نفساً عميقاً وهزت رأسها قائلة: «لأنه... حسناً، أعتقد أن هذا يندرج في إطار الأمور الخاصة».

أجاب بتردد: «حسن، لكن إن لم يكن موضوع إعلان خطوبته يزعجك...».

اصرّت بنبرة حاسمة ووجه مقطّب: «لا يزعجني أبداً لكن غاريث لم يعلمني بموضوع خطوبته سوى منذ بضع ساعات فقط».

تلفظ باتريك باحتقار: «إنها لشهامة منه!».

كانت كلماته تنمّ عن أكثر من مجرّد احتقار لكنها تخطت مرحلة الاهتمام بما يفعله غاريث أو يقوله.

- إن ظهرت وحيدة في حفل ليل الجمعة وتم الإعلان....

أكمل باتريك كلامها: «سيشعر زملاؤك بالشفقة عليك».

ازدادت زرقة عينيها وهي تقول: «أجل، صحيح!».

وهي لن تحتمل هذه الشفقة، ما جعلها تأتي إلى هذا الرجل وتعترف بأنها ارتكبت خطأً حين رفضت عرضه لمرافقتها للحفل من دون سبب.

قالت له بنبرة باردة: «إن وافقت وإن بقيت راغباً في مرافقتي، فسيكون الأمر صفقة عمل وحسب. وسأقوم بدفع كل ما يتوجب عليّ بما في ذلك كلفة الوقود وأي مشروب قد نطلبه و...».

قاطعها باتريك بحزم: «توقفي عن ذلك إيليا. حين تخرج امرأة

برفقتي فأنا من يدفع. اتفقنا؟».

ردّت بنبرة تحمل القدر ذاته من العزم والتصميم: «كلا، لم نتفق، فأنا من دعوتك للخروج ما يعني أني سأدفع».

ختمت جملتها وهي تراه يهزّ رأسه: «ماذا يعني ذلك؟ كلا؟».

ردّ بنبرة حازمة: «سأوافق على مرافقتك إن كنت أنا من أدعوك، وإلا اعتبري الاتفاق لاغياً».

- لكن المسألة ليست إحدى صفقات العمل...

وتوقفت فجأة عن الكلام حيث أدركت أنها هي من عرض عليه أن يكون خروجهما معاً ليلة الجمعة مجرّد صفقة.

ضحك باتريك بنعومة وتابع كلامه وعيناه الرماديتان تتأملانها من أعلى رأسها حتى أخمص قدميها ببطء واعجاب: «إيليا! أليس الأهم هو أن تظهري لغاريث أنك أكثر من قادرة على جذب رجل سواه؟ وهذ أمر واضح طبعاً».

كانت إيليا ترتدي إحدى بذلات العمل، وقد اختارت اليوم السوداء مع قميص أزرق، فبدا لونه قاتماً نوعاً ما بفعل الثلوج المتساقطة.

لم يكن لدى إيليا أيّ أوهام حيال مظهرها الذي يمكن لكلمة مقبول أن تصفه على أفضل نحو. لم تكن سمينة ولا نحيلة فيما شعرها الذي يعتبر إحدى الميزات التي تهمها مرتباً دوماً ومسرحاً. إن عيناها زرقاوان ورموشها سوداء طويلة وبشرتها ناعمة عاجيّة، لكن عدا ذلك ما من صفات مميّزة تذكر.

لهذا، عندما انضم غاريث إلى الشركة منذ ستة أشهر، ذاك الاشقر بعينيه الزرقاوين الدافئتين وسحره الذي يجذب النساء أذهلها اهتمامه الملفت بها. لكنها تعلّمت الدرس ما جعلها تدرك أن باتريك ماك غراث يتصرف بتهذيب الآن.

كان يراقبها بعينين ضيقتين: «كم من الوقت مضى على انفصالكما؟».

ردّت بلجهة صارمة: «وما علاقة ذلك بموضوعنا؟».

هزّ باتريك كتفيه وقال: «كنت اتساءل فقط لما ليس لديك صديق آخر بعد؟».

التوت شفتاها بابتسامة خالية من المرح وهي تقول: «بعد تجربتي مع غاريث لا أرغب حالياً في أن يكون لي صديق».

همس باتريك باهتمام: «لا تنفك هذه القصة تثير دهشتي».

رمقته بنظرة ذات معنى وأكدت له بلا مبالاة: «صدقني! الأمر لا يستحق أن يثير دهشتك».

أجاب باهتمام: «إذن، من الاسهل أن تطلبي من غريب مرافقتك إلى حفل عشاء الشركة بدلاً من أن تعقدّي الأمور مع صديق حقيقي؟ أفترض أنّ هذا منطقي جداً».

قطبت إيليا وقالت: «هل يبدو كذلك؟».

بدا الأمر بارداً وغريباً لكنه أفضل من ألا يذهب أصلاً إلى حفل العشاء. وقد بات ذلك مستحيلاً الآن، بعد أن أخبرها غاريث بمسألة خطوبته فهي لن تمنحه متعة عدم الحضور!

أكدّ لها بغموض: «أجل يبدو كذلك! كما قلت لك سابقاً، ليس لدي أي ارتباطات ليلة الجمعة».

أخذت نفساً عميقاً وقالت: «إذاً سترافقني إلى حفل عشاء ديلاكورت».

أطلق ضحكة مفاجئة جعلته يبدو أصغر سناً، وبعثت الدفء في عينيه الرماديتين ثم قال: «ظننتك لن تطلبي أبداً».

لم تكن لتفعل ذلك لولا الظروف القاهرة، وكلاهما يعلم ذلك. كان الوضع برمته غير طبيعي، ولهذا السبب وقفت هنا، وهي ترتدي

فستاناً أحمر فاضحاً تضع زينة لم تضعها مطلقاً من قبل. شعرت أنها تبدو كشجرة الميلاد المزينة في غرفة الجلوس حيث انتظرت وصول باتريك ماك غراث.

لقد تأخر!

تجاوزت الساعة الثامنة إلا ربعاً وقد اتفقا عند لقائهما في مكتبه أن يأتي لاصطحابها عند الساعة السابعة والنصف ليصلا إلى المطعم متأخرين عشر أو خمس عشرة دقيقة بعد بدء الاحتفال. على هذا النحو سيصلان متأخرين كثيراً.

قطبت جبينها وهي تنظر إلى توبي الذي يرتب الطاولة بعد العشاء قبل أن يستعد للخروج: «أيلتزم بمواعيده هكذا دوماً؟».

أكد لها وهو ينظر إلى ساعة المطبخ ويقول معتذراً: «سيحضر أختاه. لكن علي الرحيل الآن. قلت لتيس إني سأقلها عند الثامنة».

سيذهب هذا المساء إلى السينما مع الصديقة التي تعرّف إليها منذ شهرين.

- هل تريدين أن أتصل بباتريك قبل أن أرحل؟ لعل عطلاً ما طرأ على السيارة.

ردّت بنبرة جافة متسائلة ما إذا كانت ستحضر الحفل اصلاً: «هل سيارات المرسيدس تتعطّل؟».

ردّ صوت مألوف: «سيارتي أنا لا».

شهقت إيليا وهي تستدير لمواجهة باتريك الواقف في الباب. سرّت لأنها شهقت قبل أن تراه والا لفعلت الآن. بدا وسيماً بشكل يخطف الأنفاس في بذلته الرسمية!

اعترضت لتغطي ارتباكها لرؤيته: «أتمنى لو أنك تكف عن التسلل هكذا وترعبني».

هل يفترض به أن يكون وسيماً إلى هذا الحد؟ هل يفترض به أن

يكون بهذه الاناقة؟ وهذا الجمال الخاطف للأنفاس؟ لم تجد تعبيراً آخر تصف به هيئة باتريك.

رفع حاجبيه بطريقة ماكرة وهي لا تزال تحدق به: «هل أليق بك الليلة؟».

هل سيليق بها؟ هل هو لائق كبديل عن غاريث؟ طبعاً. وهل هو وسيلة مناسبة لجعل كل امرأة أخرى في القاعة تشعر بالغيرة لحظها الوافر لأنه رفيق أمسيتها؟ بالتأكيد. اما كبلسم للمشاعر المجروحة؟ فلا طبعاً.

إنه رفيق ليلة واحدة، حماية تقيها من صعوبة الليلة التي تنتظرها. ما كان يجدر به أن يجعل نبضها يتسارع وركبتيها تصطكان وقلبها يطير من مكانه!

اعتذر توبي وهو يرفع سترته عن ظهر الكرسي قبل التوجه إلى الباب: «إيليا تشعر بشيء من التوتر هذا المساء، باتريك».

واضاف بمكر وهو يرفع أحد حاجبيه ليغيظها: «استمتعا بأمسية جميلة. هل تريدين أن انتظر عودتك ؟».

رمقته بنظرة غاضبة وهو يخرج من الباب مبتسماً ابتسامة عريضة ويرفع يده ملوحاً قبل أن يختفي في الظلام.

نظر إليها باتريك بمكر قائلاً: «لن نتأخر في العودة هذا المساء. أليس كذلك إيليا؟ فعادة ما أنام عند الساعة العاشرة والنصف».

استنتجت إيليا أن السبب الوحيد الذي يدفع هذا الرجل للنوم في مثل هذه الساعة هو أنه لا ينام في السرير وحيداً.

قالت إيليا بحدّة وقد اغضبها أن تفكر في عادات نوم الرجل أكثر مما أغضبها تأخره: «لقد تأخرت!».

تجاهل كلامها وقال: «بضع دقائق فقط. توقفت على الطريق لأشتري هذه».

وقدّم لها برعم ورد أحمر تركت رقع الثلج الذائبة أثر قطرات ندى على الأوراق الأكثر جمالاً فيه.

طرفت إيليا بعينيها قبل أن ترفع نظرها إلى باتريك الذي كان يرمقها بنظرات فيها شيء من التحدي. إن جلب الوردة سواء كانت حمراء ام لا لا يدّل على طبيعة علاقتهما، وكلاهما يعرف ذلك جيداً. لكن باتريك حذرها قبل ثلاثة أيام من أنه يود القيام بالامر على طريقته الخاصة.

قبلت هديته بتردد وأخذت منه الوردة والدبوس.

- هل تريدينني أن . . .

- كلا! كلا، شكراً لك.

حاولت أن ترفض عرضه بالمساعدة وهي ترمقه بنظرات مشككة ثم قالت: «استطيع أن أتدبر أمري».

وشكت الدبوس الذي يحمل الوردة في الفستان ونجحت في تعليقه، فتمتم بمكر: «ظننت أنك قد . . . افترض أننا يجب أن نذهب؟».

ردّدت كلماته: «أفترض أننا يجب أن نفعل" .

وبخت نفسها في سرّها لشعورها بشيء من الخيبة لانه لم يأت على ذكر الفستان الجديد أو مظهرها، لكنها هي أيضاً لم تقل شيئاً عن مظهره. حسناً هما متعادلان وهذا يتماشى مع شروط الاتفاقية بينهما.

تمتم باتريك وهو يراقبها ترتدي معطفها الطويل: «ياللأسف!».

وشرح لها حين نظرت إليه بتساؤل: «تبدين مذهلة في هذا الفستان، من المؤسف أن يخفيه المعطف».

شعرت بدفء داخلي يشع من أعماقها ما زاد من الدفء الناجم عن ارتداء المعطف وقالت: «شكراً لك».

وضحكت لتغطي فرحة شعورها بالإطراء الذي دفع بالدماء الحارة إلى وجنتيها: «هذا ما قاله توبي أيضاً».

أومأ باتريك وهما يتوجهان إلى السيارة ويفتح لها الباب مضيفاً وهو يشعر بالرضا: «يمكن لغاريث أن يحترق غيظاً».

وذّكرها بشكل مغيظ: «وكلانا يعرف ان توبي لا يكذب بهذا الشأن».

صحيح، توبي لن يكذب عليها.

إلا أن إيليا نسيت كل ما يتعلق بإطراء باتريك وأفكارها عنه حين اقتربا من المطعم حيث يقام الحفل. لا بدّ أنّ الكل اعتقد أن تأخرها ساعة كاملة عن الموعد يعني أنها قررت عدم الحضور أصلاً.

مدّ باتريك واعتصر يديها القلقتين قبل أن يعيدهما إلى مقود سيارة المرسيدس الرياضية ثم رمقها بنظرة مشجعة قائلاً: «كل شيء سيكون على ما يرام ثقي بي».

بعد ما فعله غاريث ومراوغته، كانت إيليا واثقة من أنها لا تستطيع الوثوق بأي رجل مجدداً. لكن باتريك لم يكن يطلب منها هذا النوع من الثقة.

تمتمت: «أعتقد أني لم أشكرك على موافقتك على مساعدتي بهذا الشكل».

كانت شديدة الخجل لشعورها بالحاجة إليه فلم يتسنّ لها الوقت لتشكره!

أجاب بتمهل: «اظن انك شكرتني من قبل، لكن هذا حصل منذ اسبوع عندما رددتني خائباً قبل ان تضطري لأن تعودي وتخبريني أن الوضع تغيّر فعلاً! لمَ لا تنتظرين حتى نهاية السهرة لتعرفي ما اذا كنت ستشكرينني حقاً؟».

رمقته بنظرة حادة بدت أقرب إلى الشريرة!

فضحك وقال: «لا تقلقي سأكون غاية في الحذر».

نظرت اليه بريبة وسألت: «هل ستفعل؟».

ماذا تعرف عن هذا الرجل؟ فكل ما تعرفه عنه هو ما أخبرها به توبي وهو لا يذكر. إن توبي شخص متحفظ فعلاً حيث تدعو الحاجة، على الأقل في ما يخصّ باتريك ماك غراث...

إنه في الثامنة والثلاثين، ناجح جداً، عازب. ولعل هذا هو كل ما كانت تحتاج لأن تعرفه. إلا إذا استجدّت بعض الأمور التي تظهر لها المزيد عن الرجل، معلومات قد تجعله مصيبة بالنسبة إليها بدلاً من أن يكون المنقذ!

أجاب بصراحة وهو ينظر من خلال الزجاج أمامه بينما الثلج يتساقط على مهل: «سأحاول جاهداً الا أخبر أحداً كيف تحبين ان تأخذي حمام الشمس، إذا ما سمح الطقس بذلك!».

شهقت إيليا وشعرت بحرارة مفاجئة في وجنتيها ثم استدارت نحوه لتقول: «أيها ال...! باتريك؟».

- حسناً، ها قد وصلنا!

مال بخفة وهو ينعطف بالسيارة ليدخل إلى الموقف ويركنها بجانب سيارة الرولز رويس التي يملكها مديرها. بعدئذ، ترجل ودار ليصل إلى بابها ثم فتحه قائلاً ببراءة مصطنعة عندما لم تبدِ أي حركة تشير إلى نيّتها الخروج: «هل يعود ذلك إلى شيء قلته؟».

إنه يعلم جيداً أن هذا هو السبب!

شجعها بحماسة: «هيا إيليا ستبلل ملابسي هنا».

كانت الثلوج تتساقط بغزارة فرفعت إيليا ياقة المعطف وهما يسرعان نحو مدخل المطعم.

نزع باتريك المعطف عن كتفيها وسلّمه لعامل الاستقبال. وقبل ان يتسنى لها معرفة ما يحدث قال باتريك بصرامة: «سنترك المعطف

هنا على ما أعتقد».

عادت إيليا تدرك أنها ترتدي فستاناً أحمر ملفتاً للنظر. ولعله فاضح جداً، ففي النهاية هذا ليس سوى عشاء تقيمه الشركة، وتمنت ألاّ تكون قد بالغت في التأنق.

قال لها باتريك بحزم: «تبدين رائعة».

واقترب منها يعانقها برقة ويلف ذراعه حول خصرها ويجذبها إليه متعمداً أن يمرّر وجنته على فمها.

كان تصرفه غير متوقع بحيث لم تبد أي مقاومة. بل نسيت تماماً أين هما ونسيب سبب مجيئهما ونسيت نفسها وما عادت تعي سوى حرارة لمسته. حرارة ورقة جعلتا جسمها كله يذوب.

امتلأت عيناه حيرة وهو يتراجع إلى الوراء ونظر إليها وقد زادها الخجل جمالاً والحمرة إشراقاً. تأملها طويلاً وعميقاً قبل أن يقول بنبرة راضية: «هكذا افضل. الآن اصبحت تبدين كامرأة برفقة حبيبها!».

طبعاً، لهذا السبب فقط عانقها. هذا هو السبب فقط.

قالت فجأة لتخفي ارتباكها واحمرار وجنتيها: «ليتك تخبرني ماذا تنوي أن تفعل».

فتحت حقيبة يدها تبحث بين أغراضها ثم سلمته فوطة ليمسح بها أحمر الشفاه فقال باتريك بنبرة مشجعة قبل أن تتمكن من الاعتراض: «افعلي ذلك بنفسك. لا أستطيع أن أرى ماذا أفعل».

ابتلعت ريقها بصعوبة لتجبر دقات قلبها على الابطاء وتمنع يدها من الارتجاف وهي تمسح آثار أحمر الشفاه عن وجنته.

كانت منهمكة جداً بألا ترتعش وهي تؤدي المهمة بحيث لم تلاحظ الرجل الذي اقترب بملامح وسيمة متشنجة ليتوقف بالقرب منهما.

سأل بنبرة مشككة وكأنه لا يصدق أن المرأة التي يراها هي

نفسها: «إيليا، أهذه أنت!».

تصلبت قبل ان تنظر إليه وتحييه عن بعد قائلة: «غاريث».

وشعرت بباتريك يقترب منها أكثر ويلف ذراعه بشكل متملك حول خصرها. نظرت إليه وشعرت بقشعريرة تسري في أوصالها حين رأته ينظر إلى الشاب بعينين ضيقتين ثم قالت بخفة متعمدة جعلت التشنج على وجه غاريث يزداد وجعلتها تشعر بالسعادة: «باتريك، أعرفك بزميلي في العمل، غاريث دايفيس».

واضافت باضطراب وهي لا تزال متأثرة بتصرف باتريك الحميم: «غاريث، إنه باتريك ماك غراث».

سأل غاريث بسرعة وهو ينظر إليه مقطباً: «أتعني باتريك ماك غراث الشهير نفسه؟».

ابتسم باتريك من دون أن يصل طيف الابتسامة إلى عينيه الرماديتين الباردتين وأجاب بشقاوة: «أشك في أن تجد باتريك ماك غراث آخر في هذا العالم».

تدخلت إيليا عمداً حين رأت لمحة التحدي في عيني الرجلين وقالت: «علينا ان ندخل باتريك».

وأضافت من دون ان ترمق غاريث بنظرة أخرى وهي تستدير وتمشي نحو المطعم إلى جانب باتريك الذي أبقى ذراعه حول خصرها: «هلا تعذرنا غاريث؟».

يا لها من بداية للأمسية لم تتخيلها!

لكنها لم تتوقع كذلك ان يتصرف معها باتريك بهذه الحميمية.

لماذا عانقها بحق السماء؟ أليترك الوقع المطلوب كما أوحت كلماته لاحقاً؟ حسناً، لا يستطيع حتى أن يتصور أثر تصرفه غير المتوقع فيها!

فهي لا تزال تشعر بغمرته والدفء الذي بعثه فيها وكيف جعلها

تنسى أين هي ولا تهتم لذلك!

أما بالنسبة لغاريث فقد أدهشها الآ تشعر بشيء حياله عدا ذلك الشعور الغامض الذي تتركه وسامته وسحر نظراته عليها.

وماذا يعني ذلك كله؟

لكن بعد أن دخلا إلى المطعم وقام رئيسها جورج ديلاكورت، الشريك الأكبر في الشركة، بالترحيب بحرارة بباتريك أدركت أنها يجب أن تعود إلى السؤال المحير لاحقاً!.

www.elromancia.com

٣ ـ قلوب محطمة

رحّب الرجل المسن بحرارة بباتريك قائلاً: «لم اكن أعلم انك ستحضر برفقة إيليا هذه الليلة باتريك».

كان جورج ديلاكورت رجلا طويل القامة بهيّ الطلعة ذا شعر رمادي وعينين بنيتين لامعتين. ووبخ إيليا قائلاً: «كان يجب ان تخبريني بذلك».

تخبره بماذا؟ فمنذ بضع لحظات لم تكن تعلم أنه يعرف باتريك أصلاً! ولم تذكر إيليا حتماً أمر الرجل العجوز لباتريك!

ابتسم جورج وقال: «كيف حال آن وطوماس؟».

اجاب باتريك برقة وذراعه لا تزال حول خصر إيليا: «بخير سيدي، شكراً لك».

لِمَ لم يخبرها أنه يعرف جورج ديلاكورت؟ فسلاسة حديثه مع الرجل الأكبر سناً تعكس معرفته به. في الواقع كان يعرف انه سيلتقي الرجل هذا المساء فقد اخبرته بنفسها ان العشاء لشركة ديلاكورت!

وتابع الرجل الاكبر سناً يسأل: «وتيريزا؟ كالعادة قصة القلوب المحطمة؟».

هزّ باتريك كتفيه وردّ: «أظن انها التقت أخيراً الشخص المناسب».

ضحك جورج قائلا: «يسعدني ذلك».

من هما آن وطوماس بحق السماء؟ من دون ان ننسى تيريزا. أدركت إيليا أنه كان يجب عليها مطالبة باتريك ببعض التفاصيل عن حياته. ولعلها كانت لتفعل لو علمت ان تلك التفاصيل سيرد ذكرها هذا المساء.

قال جورج بسعادة: «علي أن أخبر ماري أنك هنا، فستسر لرؤيتك».

ثم قطب وقال فجأة: «سارة في مكان ما هنا. ستأتي إلى حفل العائلة غداً، أليس كذلك؟».

- بالطبع سأفعل.

وابتسم لها جورج مضيفاً بلطف: «أحضر إيليا معك ايضاً».

لم يكن لديها أدنى فكرة عن أي حفلة يتحدث الرجلان.

أجاب باتريك برقة: «لا أدري ما خطط إيليا للغد، لكني سأعلمك».

ابتسم لهما جورج مجدداً ثم غادر بحثاً عن زوجته.

تمتم باتريك متأملاً ما إن اصبحا وحدهما: «إذاً، هذا هو غاريث الشقي. عليّ ان أعترف لك بأنه لم يعجبني».

همست إيليا بنبرة غاضبة: «دعنا من غاريث الآن وقل لي من هم آن وطوماس وتيريزا؟ ومن أين تعرف جورج ديلاكورت».

قال لها باتريك بلامبالاة وهو يراقب الموظفين الذي بلغ عددهم الأربعين شخصاً: «جورج هو عمي أما بالنسبة لآن وطوماس و...».

سألته غير مصدقة: «عمك؟».

هزّ باتريك رأسه وأجاب «زوج عمتي، فماري ديلاكورت شقيقة أبي».

- ولِمَ لم تخبرني بحق السماء؟

استدار باتريك لينظر إليها وقد رفع أحد حاجبيه: «لم أعتقد أن الأمر مهم».

كرّرت كلماته بدهشة: «لم أعتقد أن الأمر مهم».

أغاظها: «لماذا تصرّين على تكرار ما أقول».

كانت وجنتاها حمراوين، وعيناها لامعتين وهي تجيب: «لأنني أعجز عن تصديق ذلك!».

ثم سألته بنبرة مشككة وقد خطرت لها الفكرة فجأة: «وهل يعلم توبي أن رئيسي في العمل هو عمك؟».

هز باتريك كتفيه وأجاب: «لست واثقاً من ذلك، لكني أعتقد أنه يعلم. هل تعتقدين أن علينا الاختلاط بالأخرين».

ثم اضاف بنبرة جادّة: «العديد من زملائك ينظر إلينا بفضول منذ بضع دقائق».

لم تعد تهتم بمن ينظر إليهما، وكانت مصممة على معرفة الحقيقة حتى لو استغرقها ذلك السهرة بطولها. إن كان توبي يعلم أن باتريك من أقرباء جورج ديلاكورت فلا بد انه يعلم..

- باتريك!

استدارت إيليا لترى سارة ديلاكورت، ابنه جورج الوحيدة، ترمي نفسها بين ذراعي باتريك وتقبله بحرارة.

شعرت إيليا بقلبها يهبط وهي تتأمل الشابة الجميلة التي تضحك لباتريك بسرور لا يخفى على أحد.

كانت سارة ديلاكورت شابة جميلة من دون شك بقدّها الممشوق الذي يبرزه فستان أسود يصل إلى الركبة، وشعرها الاشقر الحريري الطويل وملامحها الطفولية الناعمة.

لسوء الحظ أنها المرأة التي يواعدها غاريث منذ ستة اسابيع والتي ينوي إعلان خطوبته عليها الليلة!

وأدركت إيليا بغضب أنها ايضاً ابنة عمة باتريك الصغرى!

سألته سارة وهي لا تزال تمسك بيديه وتحدق فيه بسرور واضح: «ما الذي تفعله هنا؟».

لم يبد باتريك أقل سروراً لرؤية ابنه عمته إذ ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وهو يشرح لها محرراً إحدى يديه ليمسك بقوة بيد إيليا ويجذبها لتقف بجانبه: «إيليا من جلبني».

قالت لها سارة بدفء حقيقي: مرحباً إيليا امضت دهور لم أرك فيها. تبدين رائعة الجمال!».

صحيح أن الشابتين لم تلتقيا منذ مدة فقد امضت سارة العام الماضي في باريس حيث عملت مع احد المصممين هناك. لكن مهنة تصميم الازياء اتخذت منحى آخر مع ظهور صورتها على غلاف احدى المجلات النسائية الشهيرة.

وجود سارة خارج البلاد لم يتح لها الفرصة لتعرف بأن إيليا كانت تواعد غاريث منذ ستة اسابيع فقط! وشكت في أن يكون غاريث قد أخبر سارة بأي شيء عنهما أو بأنهما ظلا يتواعدان حتى بعد لقائه سارة.

أدركت سارة ان كون المرأة ابنة عمة باتريك يزيد الأمور غرابة. رمق باتريك ابنة عمته الشابة بنظرة مغيظة قبل أن يسألها: «علمت أننا على وشك تقديم التهاني لك».

لاحظت إيليا أن الدفء غادر عينيه وان ابتسامته فقدت شيئاً من عفويتها.

قالت سارة بنبرة حالمة: «في لحظة كنت شابة وحرّة ثم غرقت في الغرام حتى أذنيّ في اللحظة التالية وأنا أنظر اليه».

اشتدت قبضة باتريك على اصابع إيليا وقد شعر بتوترها رغم انه ظل يركز نظره على وجه ابنة عمته الجميل.

www.liromancia.com

وقال بنبرة جافة: «إنه الحب من النظرة الاولى، إذاً؟».

اطلقت سارة ضحكة أخرى تنّم عن فرح وقالت بحماس: «شيء من هذا القبيل. انتظر حتى تتعرّف إليه، ستحبه!».

نظراً لما قاله باتريك عن غاريث منذ بضع دقائق، كانت تشك في أن يحبه! إنما لم يكن لديها أدنى فكرة عن الانطباع الذي كونه باتريك من كلامها أو عما أوحته إليه أو ما اكتشفه هو بنفسه!

بدا الوضع برمته غريباً.

ما اللعبة التي حاول توبي لعبها عندما رتب لها هذا الموعد أصلاً مع باتريك؟ وتوبي يعلم جيداً علاقة اللاعبين الرئيسين ببعضهم.

أمال باتريك برأسه قليلاً واضاف بخفة: «أنا واثق انك ستحظين بفرصة تعريفنا ببعضنا البعض لاحقاً، لاني أظن أن إيليا تود الآن أن تعرفني ببعض اصدقائها».

وافقت فوراً، واضافت بحرارة: «طبعاً سررت برؤيتك مجدداً إيليا، ينبغي أن نخرج لاحتساء القهوة سوياً كما اعتدنا سابقاً».

وهكذا سيتسنى لسارة من دون شك أن تقول كلام شعر عن غاريث.

صحيح ان الشابتين شربتا القهوة سوية بضع مرات قبل ان تغادر سارة إلى باريس، لكنهما لم تتواصلا طوال العام الماضي. وفي ظل الظروف الراهنة تفضل إيليا ان تبقى الأمور على حالها!

وافقت بنبرة غير ملتزمة: «يجب ان نفعل».

قال باتريك لابنه عمته قبل ان يبتعد «نراك لاحقاً سارة».

ثم همس لإيليا وهو بالكاد يحرك شفتيه: «اجلّي النقاش».

- لكن...

قال لها وقد رآها تتوقف فجأة وسط القاعة المكتظة: «ليس المكان مناسباً لمناقشة الموضوع».

لم تكن توافقه الرأي. لم يكن لديها فكرة عما يجري. وكيف ستعلم وقد انقلبت سهرتها رأساً على عقب منذ بدايتها بعد أن تفاجأت بالعلاقة التي تربط باتريك بعائلة ديلاكورت؟

تنهد وقال عندما رأى تعابير وجهها: «أعلم كيف بدت الأمور لك...».

أكدت له بنبرة هازئة: «ليس لديك أدنى فكرة عن ذلك».

اعترف باتريك مقطباً: «ربما! لكن السهرة لا تزال امامنا. وخطوبة صديقك السابق ستعلن قبل نهايتها».

قالت إيليا بقسوة: «خطوبته من ابنة عمتك».

اعترف باتريك بلهجة مماثلة: «أجل، صحيح. لعل الأمر فاتك لكنك لم تلاحظي ان جورج ليس متحمساً تماماً لفكرة ان يصبح غاريث صهره».

طرفت بعينيها وسألت: «حقاً؟».

كان جورج يعلم ان غاريث يواعد إيليا حتى بضعة اشهر خلت. في الواقع كان العاملون في شركة ديلاكورت كلهم يعلمون ذلك. وحين فاتح الرجل المتقدم في السن إيليا بمسألة ارتباط سارة بغاريث، قالت له إنهما مجرد صديقين، فعليها أن تحافظ على كرامتها في النهاية...

لم تدرك أن جورج حدّثها عن غاريث لأنه لا يثق تماما بنوايا الشاب تجاه ابنته.

أكد لها باتريك بوجوم: «كلا».

قطبت وقالت: «إذاً لمَ لا يفعل شيئاً حيال ذلك؟».

ابتسم باتريك بسخرية وسأل: «مثل ماذا؟ كأن يقول لسارة إنه مجرّد صائد ثروات؟ لأنه فعلاً كذلك، ألا توافقيني الرأي؟ إنه رجل يسعى وراء الفرصة الذهبية، ويتخيل اسم دافيس مضافاً إلى اسم

ديلاكورت».

أجل هذا ما هو عليه غاريث تماماً. وسيمٌ نعم، جذاب أجل، إنما وصولي تماماً. بدت له إيليا صفقة جيدة في البداية بما أنها سكرتيرة جورج المفضلة. لكنه رماها بسرعة حين عادت سارة من باريس وأدرك أن لجورج ابنة بسن الزواج.

أكدت له إيليا بشكل يائس وهي تشعر بالاذلال التام لسهولة انخداعها: «صحيح».

أوما باتريك بسرعة: «كيف سيكون رد فعل سارة برأيك على خبر كهذا عن رجل تعتقد أنها مجنونة بحبه؟».

كيف كانت إيليا لتتصرف لو أخبرها احد بكل تلك الأمور عن غاريث منذ شهرين؟ هل كانت لتصدقهم حينذاك وقبل أن تكتشف مدى وصولية غاريث؟

تغضن وجهها وهي تجيب: «ستطلب منهم ان يهتموا بأمورهم».

أوما باتريك قبل ان يؤكد ساخراً: «هذا أقل ما يمكن أن تقوله».

هزت إيليا رأسها وقالت: «إن كان جورج لا يثق بنواياه...».

قاطعها باتريك بتوجم: «إنه لا يثق».

- لِمَ لا يبعده عنها؟

فأجاب باتريك: «للأسباب ذاتها، ألا تعتقدين ذلك؟».

بلى، فتصرفات سارة وكلامها عن غاريث تؤكد أن المرأة مأخوذة تماماً بالرجل، كما كانت إيليا ذات يوم...

أصبحت إيليا تعلم جيداً الآن، تماماً كباتريك وعمّه، أن سحر غاريث الظاهر ليس سوى واجهة لعقله المدّبر الذي يخطط لأن يصبح شريكاً ذا نفوذ.

كان غاريث البالغ من العمر اثنتي وثلاثين سنة طموحاً لكنه لا ينوي ان يتعب لتحقيق هذه الطموحات في حال توفرت له سبل

أسهل لذلك كالزواج بابنة الشريك الاكبر في الشركة.

استلزم الأمر اسبوعين لتدرك ان غاريث يواعد امرأة أخرى غيرها. لم يشأ أن يخسر فرصته قبل أن يضمن نجاح العلاقة الثانية. وما أن أدركت ما يفعل حتى نعته بالصفات التي تناسبه تماماً.

لو ظنت للحظة أنه مغرم فعلاً بسارة لاختلف الأمر وتقبلّت الحقيقة الحتمية، لكنها أدركت نوايا غاريث ما صدمها.

لكنها لا تزال تجهل تماماً ما الذي ينوي باتريك فعله..

لانه عقد العزم على فعل شيء ما، هذا ما كانت واثقة منه!

نظر إليها باتريك باهتمام وقال: «إذاً ما رأيك إيليا؟ هل تريدين المساعدة في جعل سارة تدرك مدى وصولية خطيبها الجديد».

نظرت عبر الغرفة إلى حيث وقف غاريث يتحدث إلى سارة وابتسامة التفوق تعلو وجهه فيما هي تنظر إليه بعشق وتذوب في سحر كلماته. وسرت رعشة في أوصال إيليا. هل بدت يوماً مغرمة إلى هذا الحد؟

لقد شعرت من دون شك بالانجذاب نحو غاريث، تماماً كما لم تشك في أنه تعمّد جذبها! وشعرت بالإطراء حيال اهتمامه بها، فأي امرأة لا تفعل ذلك نظراً لسحر غاريث وجاذبيته؟ لكنها ارتاحت عندما أدركت ان حبها لغاريث لم يعش طويلاً هذا في حال كانت مغرمة فعلاً!! لأنها لم تعد تشعر وهي تنظر إليه الآن بسوى الاشمئزاز.

نظرت إلى باتريك وقد شدّت كتفيها بعزم: «ليس لدي أدنى فكرة عما تنوي فعله لكني سأساعد، أجل، إن استطعت ذلك».

إن كان رجلان قادران كباتريك وجورج لا يملكان أي فكرة عما يمكن فعله لكشف غاريث على حقيقته أمام سارة المغرمة، فكيف لها هي أن تفعل ذلك؟.

هل تخبر سارة ببساطة عن رأيها في غاريث، لكن هذا لن يؤدي إلى نتيجة. لقد خطرت لها هذه الفكرة حين أدركت أن سارة هي آخر ضحايا غاريث، فقلقها على سارة واهتمامها لأمرها صادقان! لكنها أدركت أن سارة لن تصدق أي كلمة تقولها عن غاريث إذا ما أخبرتها قصتها. وعلى الأرجح أن سارة ستشعر بالشفقة نحوها! اعتصر باتريك يدها كمن ربح الجائزة الكبرى وقال بنبرة حنون: «كنت آمل أن يصدق حدسي بشأنك».

رمقته بنظرة مشككة وسألت: «أي حدس؟».

ضحك قبل ان يقول بنبرة راضية: «كنت أعلم أنك محاربة، لا بد أنك كذلك. وقد اخترت تحمّل مسؤولياتك منذ ثماني سنوات ونجحت فيها. المرأة التي تفعل ذلك لن تسمح لرجل مثل غاريث دافيس أن يضلل امرأة مسكينة أخرى كما فعل بك!».

كانت واثقة مجدداً من أن كلماته تحمل الإطراء في طياتها، لكنه إطراء تغلفه الإهانة التي تلته!

٤ - حبه جنون

- ما اللعبة التي تظنين أنك تلعبينها؟

استدارت إيليا ببطء لتواجه غاريث مدركة أن نبرة صوته العدائية ناجمة عن سوء مزاجه. كانت قد تركت طاولة العشاء لتذهب إلى غرفة السيدات، ولا بد أن غاريث لحق بها. كانت محقة بشأن مزاج غاريث إذ بدا أقل وسامة وهو غاضب بعينيه اللامعتين سخطاً وخطواته السريعة.

أجابته ببرودة: «عفواً».

قال بنفاد صبر: «لقد سمعتني إيليا. ما الذي تحاولين فعله هنا مع ابن شقيقة زوجة جورج؟».

أجابت بخفة لم تكن تشعر بها: «أتناول العشاء كما يفعل الجميع».

كانت تعلم أن غاريث لا يستطيع أن يؤذيها حتى لو بدا راغباً في قطع عنقها، لكن كلماته كانت قادرة على تقطيعها إرباً!

التوت شفتا غاريث غيظاً وهو يقول: «لا تتحاذقي!».

ثم اضاف بنبرة احتقار: «صرت تخرجين برفقة علية القوم، أليس كذلك؟».

لقد تعمّد قول ذلك، لكنها رفضت أن تشعر بالغضب من كلماته، أو من نفسها على الأقل لارتكابها خطأ الانخذاب إلى هذا الرجل أساساً. في الواقع، من المؤسف ألا تتمكن سارة من رؤيته

www.liromancia.com

وهو بهذا المزاج، عندئذ كانت لتساورها الشكوك حيال زيفه!

كانت تعلم تماماً ما الذي قصده بقوله، فهي عادة تجلس إلى إحدى طاولات المطعم المخصصة للمساعدات، لكن وصولها برفقة ابن شقيق زوجة الشريك الاكبر مضيفها لهذا المساء، جعلها تنتقل إلى الطاولة الرئيسية. فجلسا إلى الطاولة ذاتها التي تضم غاريث وسارة.

واجهت ببرود نظرات غاريث المتهمة وسألته: «وهل لديك مشكلة في ذلك؟».

أطلق ضحكة ساخرة وأجاب: «على الإطلاق. وإن كنت تقصدين أن تجعليني أشعر بالغيرة...».

قاطعته باحتقار وهي تشعر بحدّة غضبها تزداد: «لا تصب بالغرور غاريث! فصداقتي مع باتريك لا علاقة لها بك أبداً».

أمسك غاريث بذراعها وقال بغضب: «هل قلت لباتريك شيئاً عني، لأنك لو فعلت...».

أكدت له بصعوبة: «صدقني غاريث، حين أكون مع باتريك لدي أمور أفضل أفعلها بدلاً من التحدث عنك، والآن هلا تركت ذراعي؟».

تأمل ملامحها بعينين زرقاوين وابتسامة تخلو من المرح ثم همس ببطء: «لا أظن أني سأفعل. تبدين بغاية الجمال هذه الليلة بل بغاية الإثارة في الواقع».

أحسّت بالغثيان لإطراء الرجل الذي باتت تمقته بشكل غير متوقع، لكن نظراتها الباردة لم تتغيّر وهي تحدّق في عينيه وتقول ببرودة: «يجب باتريك أن أرتدي اللون الأحمر».

تصاعدت حدّة غضب باتريك وبدت واضحة في عينيه: «لِمَ أيتها...».

قاطعهما صوت باتريك: «هل كل شيء على ما يرام عزيزتي؟

مضى وقت طويل على مغادرتك الطاولة فظننت أن ثمة خطب ما».

وتقدم نحوهما بسرعة فعادت إيليا تشعر بالطمأنينة لوجوده.

حرّر غاريث ذراعها ببطء فيما قاومت هي الرغبة في مسح أثر لمسته. ورمقت غاريث بنظرة كره حادة قبل أن تلتفت مبتسمة إلى باتريك لتقول له بامتنان: «كنت أرشد غاريث إلى استراحة الرجال».

نظر باتريك ببرود إلى الشاب وقال: «حقاً؟ أظنني رأيتك هنا حين التقينا في وقت سابق من الأمسية».

استعاد غاريث هدوءه بجهد واضح حتى أنه نجح في الابتسام بمكر وهو يشرح: «كنت في الواقع أحضر شال سارة».

لا شك في أن غاريث يبذل جهداً ليبدو لطيفاً أمام باتريك لأنه يعلم أنه قريب جورج.

تمتم باتريك ببرود: «آه، أجل ابنة عمتي سارة».

ثم اضاف برقة: «إني أحب سارة كثيراً».

وافقه غاريث الرأي بحماسة: «إنها فتاة رائعة!».

اعترف باتريك: «إنها فعلاً كذلك وأكره أن أراها تتأذى».

كانت إيليا تراقب غاريث عندما أبدى باتريك ملاحظته فلاحظت أن الوجه الوسيم بقي يبتسم برضا لكن قلقاً ما أحاط بعينيه.

لم تكن واثقة من أن تحدي باتريك للشاب الآخر عمل حكيم، ولو بهذه الطريقة اللطيفة لا سيما وأن سعادة ابنه عمته على المحك. لكنها سرعان ما أدركت أن باتريك يحب القيام بالأمور على طريقته.

أمال برأسه وقال: «أظن أنه يستحسن بنا العودة. سيعلن جورج خطوبتنا عند تقديم القهوة».

أمسك باتريك بذراع إيليا بعد أن شعر بها تتوتر وقال: «اذهب أنت أولاً، أريد بضع دقائق مع إيليا وحدنا».

قال غاريث بنبرة ماكرة: «كنت أقول لإيليا إن سرّها عميق. من

يعرف فقد نصبح أقرباء يوماً ما».

ارادت إيليا أن تمسح تلك الابتسامة الواثقة عن ذلك الفم الأنيق بلكمة! لكنها شعرت بدلاً من ذلك ببرودة أعصاب وهي تجيبه باحتقار: «أشك في ذلك كثيراً».

ابتسم غاريث من دون أن تصل الابتسامة إلى عينيه: «آمل أن تكون نواياك صادقة باتريك. أحذرك من أن جورج مولع كثيراً بإيليا ويعاملها كما لو أنها ابنته الثانية. لن يفرح لتلاعبك بمشاعرها!».

إن لم تسيطر على نفسها فستصفعه وترميه أرضاً! كان جورج ديلاكورت مولعاً بها فعلاً وقد أخذها نوعاً ما تحت جناحيه بعد موت والديها، وهذا يزيد الأمور تعقيداً إذ لا تودّ أن تلعب دوراً في إفساد سعادة ابنته الوحيدة.

ابتسم باتريك ابتسامة الواثق وهو يحرر ذراع إيليا ويحيط خصرها الناعم قبل أن يؤكد للرجل الآخر بسخرية: «لا أظن أن إيليا كانت تقصد علاقتنا نحن عندما اشارت إلى عدم إمكانية أن تصبحا قريبين».

ضاقت عينا غاريث وهما تقيّمان باتريك ثم نظر ناحية إيليا وقال بشيء من الشفقة: «لو كنت مكانك باتريك لما أوليت أي اهتمام لرأي كهذا، لا سيما وأنه متحيّز من دون شك».

هذه المرة همّت إيليا بضربه فعلاً لو لم يسارع باتريك إلى الإمساك بذراعها. حاول غاريث أن يظهرها كشخص مريض محتقر، فودّت لو تضربه وتؤذيه حقاً!

أجاب باتريك برقة: «رأيي في الآخرين صائب دوماً. لهذا السبب تجدني مع إيليا الليلة».

هز غاريث رأسه وقال: «أعلم أنها كانت تكره المجيء وحدها الليلة».

قال باتريك بسخرية تامة: «أؤكد لك أن ذلك الخيار لم يكن مطروحاً حتى!».

واستدار يبتسم لها فأخبرها لمعان عينيه بمدى الغضب المكبوت في قلبه. وأضاف بصعوبة: «الكثير من الرجال يتمنون لو أنهم مكاني الليلة».

وافقه غاريث مشككاً: «طبعاً، حسناً عليّ أن اعود إذ ينبغي ألاّ يكون أحد الطرفين غائباً عند إعلان خبر الخطوبة، أليس كذلك؟».

ابتسم قبل أن يمشي بثقة عائداً نحو القاعة.

أطلقت إيليا نفساً عميقاً، لم تكن تدرك حتى تلك اللحظة أنها تحبسه. لقد أدركت في الدقائق القليلة الماضية أن غاريث أكثر خطورة مما ظنت.

كان حب الانتقام منها واضحاً، لدرجة أنه تعمّد التقليل من شأنها أمام باتريك وجعلها تبدو...

كان باتريك ينظر إليها بقلق واهتمام بالغين وقال: «لا تجعلي كلامه يؤثر فيك. تصرّف على هذا النحو لأنه غير واثق من مدى معرفتي به ومما أخبرتني أنت عنه».

الشعور الأساسي الذي انتابها في تلك اللحظة هو الخجل، لأنها انخدعت بغاريث بسهولة، ولأن باتريك يعلم أنها خدعت!

كانت تهتم كثيراً لرأي باتريك بها. وليس لذلك أي علاقة بكبريائها التي حاولت جاهدة الحفاظ عليها على مدى الاسابيع الستة الماضية، بل بعدم رغبتها في أن يظنها باتريك امرأة مسكينة مجروحة لا تزال مغرمة بغاريث دايفيس.

لكن لِمَ تهتم لرأي باتريك بها...

هزّت رأسها بلامبالاة إذ لا يمكنها أن تفكر في ذلك الآن، فلديها أمور أخرى تهتم بها.. قالت ببطء: «أعتقد أن غاريث رجل خطير

جداً».

قال بثقة: «خطير، لا. مغيظ نعم. هذا ما يظنه جورج. لكني كنت أراقب غاريث دايفيس على العشاء وعندما ظن ان لا أحد يراه راح يراقبك. لحاقه بك ما أن خرجت من القاعة يظهر أنه ليس واثقاً تماماً من أن الأمور ستجري كما يريد».

نظرت إليه إيليا غير واثقة: «لا أعتقد».

لم تكن تعي أن الرجل الآخر يراقبها أثناء تناول العشاء. لكن من الواضح أن باتريك...

هز باتريك رأسه ببطء ليقول: «من الواضح أنك تزعجين غاريث دايفيس».

أجابت غير مصدقة: «أشك في ذلك».

تمتم باتريك وهو مستغرق بشكل واضح في التفكير: «بل تزعجينه. وجودك معي يفعل ذلك على الأقل، لأني ابن خال سارة. في الواقع، ربما ليس علينا سوى الاستمرار في إزعاجه».

- ماذا تقصد بهذا؟

ضحك وقال بنبرة راضية: «لقد أغظته فعلاً إيليا! كل ما علينا فعله هو متابعة الضغط عليه».

لم تكن إيليا واثقة من أنها أحبت ما سمعت. ماذا عنى باتريك بمتابعة الضغط عليه؟

وذكّرها: «هل تتذكرين ما قاله جورج في وقت سابق من السهرة عن الحفلة العائلية؟».

هزّت رأسها وراحت تنظر إليه بقلق: «غداً».

كل ما كانت تهتم له هو الوضع الليلة، لاسيما أنه بدا أكثر تعقيداً مما ظنت. لكن بدا أن باتريك لديه أفكاراً أخرى.

هز رأسه وقال: «إنها حفلة لإعلان الخطوبة بشكل رسمي، أظن

أنها فكرة جيدة».

قاطعته إيليا بحزم وهي تهز رأسها معترضة: «كلا، الجواب هو كلا، باتريك!».

اصرّت بشكل حاسم وأكملت بنبرة اتهام: «يمكنني أن أؤكد لك أنك رافقتني الليلة للأسباب والادعاءات الخاطئة: ظاهرياً، كنت تسدي لي خدمة، لكن الظروف أظهرت أني رددت لك الخدمة. فجورج عمك، وكنت تعلم أن إعلان الخطوبة الذي اخبرتك عنه سيتم، لذا لم تتفاجأ حين وصلت إلى مكتبك في وقت سابق من هذا الاسبوع!».

كانت عيناها تتهمانه بقسوة وقد أدركت الحقيقة أخيراً!

- إيليا...

قاومت نبرته المغيظة بحزم وقالت: «كلا باتريك. كانت هذه الأمسية بشعة ولا أنوي تكرارها».

وفجأة اقترب منها باتريك أكثر مما ينبغي لراحتها وسلامة تفكيرها وكرّر كلماتها بتعومة: «بشعة، إيليا؟ هل كانت بشعة؟».

كلا، ليس كلها. في الواقع، كان العناق الذي تبادلاه مع بداية السهرة أكثر متعة مما شاءت أن تعتقد. وأكثر إزعاجاً طبعاً مما ارادت أن تعترف به!

اصرّت: «أجل كلها! أجزم أني لن أرافقك غداً إلى الحفلة!».

نظر إليها بقلق وقال: «ولا حتى من أجل مصلحة سارة؟».

قالت بانزعاج وقد شعرت بإرادتها تضعف عند ذكر سارة: «ولا حتى من أجل... هذا ابتزاز عاطفي!».

كانت وسارة صديقتين جيدتين في الماضي. هذه الفتاة رقيقة محبة وحرّة. وزواجها من غاريث الذي أظهر للتو مدى قوته، سيدمّر هذه الصفات.

www.elromancia.com

اعترضت: «لا أريد الذهاب معك إلى الحفل باتريك».

بدا وقع اعتراضها ضعيفاً في أذنيها.

واضافت حين لم يردّ عليها: «كما ليس لدي ما أرتديه».

ما أظهر مدى ضعفها أكثر فأكثر!

تأكدت من أنها بدت ضعيفة حين ضحك باتريك والتمعت عيناه بدفء وظهرت اسنانه البيضاء بشكل ملفت. كل هذا في المكان ذاته الذي حصل فيه العناق!

ما كان يجدر بها التفكير في ذاك العناق.

وأرادته بشدة أن يكرر عناقه!

ولا بد أن رغبتها تلك ظهرت في عينيها لأن باتريك أمسك بكتفيها وأبعدها عنه ثم همس بنبرة نادمة: «كلا إيليا، لن أتّهم بالإغراء والابتزاز العاطفي!».

شعرت إيليا بالاحمرار يتصاعد إلى وجنتيها وقد بدت مشاعرها واضحة. لعل تأملها له وتمعّنها بملامحه أظهرا ذلك أو لعلها مشاعر الاشتياق التي بدت واضحة على ملامح وجهها. في كلا الحالين لم يكن من الصعب ضبط مشاعرها.

قالت فجأة: «حسناً، باتريك، سأرافقك إلى الحفل».

أشرق وجه باتريك وقد بدا أنه نسي ضبط إرادته فجذبها إليه وضمها: «كنت أعلم أنك لن تخذليني!».

ابتعدت إيليا عنه ثم نظرت محذّرة وقالت بحزم: «لن أفعل هذا من أجلك».

تقبّل كلامها بهدوء وظل يبتسم وقد بدا وسيماً جداً بشكل يهدد راحتها وسلامة تفكيرها. عليها أن تضبط نفسها إن لم يفعل هو! ارادت فعلاً أن تسيطر على مشاعرها نحو باتريك ماك غراث، لأن الوقوع في حبه مشكلة لا بل جنون مطبق!

٥ - يا له من عالم صغير

حذرت إيليا توبي حين رفع نظره إليها: «لا تقل أي كلمة!».

كانت بكامل أناقتها لا ينقصها سوى أن تضع عليها المعطف عندما يحين الوقت.

وكرّرت في ما هو لا يزال ينظر إليها: «لا تقل أي كلمة. أنت لست الشخص المفضل لدي الآن».

وجلست في كرسي المطبخ متثاقلة تنتظر.

نظر توبي إليها بعينين زرقاوين غاية في البراءة ثم هز كتفيه بلامبالاة قائلاً: «لا أستطيع أن أتخيل لما أنت بهذا المزاج السيء أختاه. تعلمين كم تحبين التسوق!».

لكن هذا اليوم ليس عادياً كما يعلم توبي جيداً. نظرت إيليا إلى أخيها وقالت بلهجة تعكس تماماً سوء مزاجها: «أظن أن عملك معه جعلك محتالاً مثله».

ضحك توبي بنعومة وقال بخفة: «نسيت أن تقولي متلاعباً وغامضاً وماكراً، أليس كذلك؟».

وهي نعوت أطلقتها على أخيها هذا الصباح بعد أن سألها كيف سارت الأمور الليلة السابقة.

ذكرته بنبرة متثاقلة: «ومتحاذقاً جداً، لقد نسيتها».

لكن مزاجها بدأ يتحسّن شيئاً فشيئاً وهي تضيف باشمئزاز: «كان يجب ان تخبرني».

أجاب بنبرة مقنعة: «ما كنت لتذهبي إلى حفل العشاء، ليس مع باتريك على الاقل. وهذا مؤسف».

نظرت إليه بشك وسألته: «لماذا؟».

أجاب توبي: «اسمعي، أذكرك بأن باتريك وأنا الصالحان أما غاريث فهو الشرير. تذكري ذلك في حال نسيته».

أجل، لقد تذكرت ذلك فعلاً. وتذكرت أيضاً نظرة الانتصار التي ظهرت في عيني غاريث الليلة الماضية حين أعلن جورج خطوبته على ابنته الوحيدة سارة!

تمتم باتريك بنبرة مشمئزة وهو يقف إلى جانبها: «إنه لا يستحق سارة ولا يستحقك كذلك!».

لهذا السبب حين كان أفراد عائلة ديلاكورت وإيليا يتحدثون الليلة الماضية عند نهاية السهرة، بدا باتريك مسروراً لاقتراحه أن ترافق إيليا سارة في اليوم التالي لتشتري ثوباً مناسباً للسهرة!

إذ قال باتريك لابنة عمته بسرور: «إيليا كانت تتذمر أيضاً أن ليس لديها ما ترتديه للسهرة!».

نظرت إيليا إليه بدهشة، إذ يجدر به أن يعرف أن سارة هي آخر شخص تود مرافقته للتسوق.

بدا لإيليا أن غاريث كان متسرعاً في تدخله حين قال: «لا أمانع في مرافقتك سارة!».

ونظرت إلى باتريك فأدركت من تعابير وجهه أن هذا هو رأيه أيضاً.

لمست سارة ذراع خطيبها بامتنان وقالت: «هذا لطف منك!».

كان خاتم الخطوبة المرصّع بالماس يلتمع في إصبع يدها.. وهي تضيف: «لكني أعلم كم تكره التسوق كما أريد أن يكون فستان سهرة الغد مفاجأة».

قطب غاريث وقال: «ظننت أن فستان العرس وحده يجب أن يكون مفاجأة».

ضحكت سارة وقالت: «إنه أمر سخيف، أريد فقط أن... حسناً انتظر لترى...».

لم تنه جملتها واستدارت نحو إيليا لتقول بحماسة: «أعتقد أنه سيكون رائعاً أن نذهب سوياً للتسوق!».

بدا واضحاً من تعابير سارة الواثقة أنها لا تتوقع أن ترفض إيليا دعوتها. ومع وجود باتريك الذي نظر إليها متوقعاً منها ألاّ ترفض، لم يبق أمامها أي خيار. لهذا السبب جلست بانتظار أن تقلّها سارة ليذهبا سوياً إلى متاجر البلدة وقد ارتدت سروال جينز مريحاً وكنزة شتوية دافئة.

أجابت توبي بتثاقل وهي تهز رأسها: «لم يكن لديّ ادنى فكرة حتى الليلة الماضية عن مدى قلق جورج وماري من العلاقة».

فقال توبي بمكر: «غريبة هي أمور الحياة وكم أن هذا العالم صغير!».

رمقته إيليا بنظرة متسائلة فأضاف موضحاً: «صديقك السابق الشقي خطيب ابنة عمة باتريك!».

انزعجت لوصف غاريث على أنه صديقها السابق، إذ ارادت أن تنسى أنه كان كذلك يوماً، لكن هذا مستحيل في ظل الظروف الراهنة.

ومع أنها شعرت بشيء من الدفء حين قال باتريك الليلة الماضية إنه لا يستحق سارة ولا يستحقها كذلك لكنها لم تكن واثقة مما قصده تماماً. وشعرت مجدداً أن في الجملة إطراءً ما.

إطراء من الحكمة أن تنساه إن كان لديها ذرة منطق. وبعد خيبتها الحديثة من غاريث يجدر بها أن تتحلى بالكثير من المنطق!

لكن...

شعرت بالخجل التام الليلة الماضية وهما في طريق العودة إلى المنزل متسائلة كيف سيودّعان بعضهما البعض فيما لم يكونا معاً في موعد غرامي حقيقي. لكن باتريك عانقها بقوة في بداية الأمسية.

لم تعرف ما إذا كان عليها أن تشعر بالارتياح أم بالخيبة حين انحنى طابعاً قبلة على وجنتها أمام باب المنزل قبل أن يخبرها أنه سيتصل بها قبل الثامنة من مساء الغد.

اضاف: «ما من داع للحضور باكراً».

وافقته الرأي: «على الإطلاق».

وقال ضاحكاً: «ولا تقلقي بشأن مسألة التسوق غداً مع سارة. كوني على طبيعتك وسيسير الأمر على ما يرام».

كان يسهل قول ذلك على باتريك، لكن إيليا لم تحب فكرة أن تمضي ساعات طوال تستمع إلى سارة تخبرها عن مدى روعة غاريث. كانت هذه الفترة فترة عذاب.

اضاف باتريك على عجل: «اشتري فستاناً أزرق بلون عينيك تماماً».

وبجدداً شعرت بموجة دفء تجتاحها لإدراكها أنه لاحظ لون عينيها!

استدار قبل أن يصعد إلى السيارة قائلاً: «بالمناسبة، آن وطوماس هما والداي وتيريزا أختي».

رائع، ستلتقي عائلة باتريك كلها مساء الغد أيضاً.

قالت سارة وهي تنظر إلى إيليا بإعجاب: «الثوب يبدو رائعاً عليك».

قد يكون كذلك لكن نظرة إلى سعره أبلغت إيليا أنه سيفلسها أيضاً! كان عليها أن تعرف أن الشابة الأخرى ستختار متجراً فاخراً

لشراء فستانها.

في الواقع، كانت سارة قد اختارت ثوباً أخضر يتناسب تماماً مع حجر الزمرد الذي يرصع خاتمها، وعادت لتجرّب الثوب بعد إجراء التعديلات عليه.

كان الثوب الذي أقنعت إيليا بتجربته أزرق اللون كما أراد باتريك تماماً، مصنوعاً من الحرير الخالص وبتصميم أنيق جداً.

شجعتها سارة قائلة: «مع شعرك المرفوع كما الليلة الماضية وبعض الكحل في عينيك ستبدين في غاية الروعة إيليا».

كان الثوب رائعاً جداً، بل أجمل من كل ما ارتدته إيليا سابقاً، فتجرأت واشترته.

أضافت سارة مشجعة: «ستخطفين قلب باتريك حين يراك ترتدينه».

لم تكن واثقة من أنها أرادت خطف قلب باتريك. فإلى أين يمكن أن تؤدي أي علاقة بينهما؟ إلى لا مكان. ومع ذلك كان جزءٌ منها يرغب كثيراً في شراء الفستان ولو لترى إن كان سيذهل باتريك حقاً! اقترحت سارة عندما رأت حيرة إيليا: «لِمَ لا تفكرين في الأمر بينما نتناول فنجان القهوة؟».

وافقت إيليا بنوع من الراحة: «فكرة جيدة».

مع أن إيليا لم تكن واثقة من أنها فكرة جيدة، فاحتساء القهوة والجلوس في المقهى برفقة سارة يعني التحدث عن الخطوبة.

قالت إيليا بخفة وهي تدير الملعقة لتذيب السكر في فنجان قهوتها: «حدثت الأمور فجأة نوعاً ما، أليس كذلك؟».

اعترفت سارة وهي مستغرقة في التفكير: «صحيح، لقد استمتعت كثيراً العام الماضي، فعرض الأزياء وعرض صوري على غلاف المجلات أمران رائعان لكنه نمط حياة فيه الكثير من الوحدة. لقد

افتقدت أصدقائي وعائلتي، لا سيما العائلة. وفجأة بدت إمكانية الزواج وتأسيس العائلة خياراً مناسباً».

لكن غاريث ليس الخيار الصحيح لتأسيس عائلة، كما تعلم إيليا تماماً!

أغاظتها قائلة: «أنت في الواحدة والعشرين من عمرك فقط، وأمامك متسع من الوقت لتفعلي كل ما تريدينه في حياتك قبل أن تقرري الزواج. ألم تذكري مرة أنك تريدين تصميم الأزياء بنفسك؟».

أخبرتها سارة بحماس: «صممت بعض الأزياء فعلاً، لكني نسيت الأمر في غمرة حماستي في الاسابيع القليلة الماضية. أنا أنتظر رأي جاك بتصاميمي فهو المصمم الذي أعمل معه في باريس.؟

إذاً لم تتخلَ سارة نهائياً عن نمط حياتها في باريس .

شجعتها إيليا قائلة: «هذا مثير للاهتمام. هل تعتقدين أن هذا قد يؤثر على خطوبتك مع غاريث؟».

بدت سارة متفاجئة. وقطبت جبينها قبل أن تقول بنبرة ساخرة: «عليّ الأعتراف بأني لم أفكر بهذا كثيراً، فمسألة الخطوبة والتفكير في شخص آخر والارتباط أمور جديدة عليّ. لكني أودّ لو أتابع فعلاً مسيرة تصميم الأزياء إذا وجد جاك أني أتمتع بالموهبة الكافية».

فكرت إيليا أن كلام سارة مشجع، إذ يبدو أن الشابة ليست مقيدّة تماماً بعلاقتها بغاريث وهي لم تتخلَ عن طموحاتها كلها. أضافت سارة بلامبالاة: «أنا واثقة من أن غاريث سيتفهّم إذا اضطررنا للانتظار فترة قبل أن نتزوج».

ظنت إيليا أن سارة متفائلة قليلاً حيال صبر غاريث. كلما استعجل غاريث في جعلها زوجته، كلما ضمن مكانته في الشركة. لكن حكمتها منعتها من البوح بشكوكها لسارة.

لكنها أخبرت باتريك بالحديث الذي دار بينهما حين أتى لاصطحابها ذاك المساء، فتراجع إلى الخلف قليلاً ونظر إليها بتمعّن قائلا: «تبدين رائعة الجمال».

شعرت بموجة دفء تجتاح وجنتيها لمديح باتريك لكنها قالت: «باتريك ألم تسمع ما قلت؟ سارة...».

أنهى جملتها بلامبالاة: «لا زال لديها خطط لتصبح مصممة أزياء، هذا رائع، لكن...».

أصّرت إيليا وهي تقطب حاجبيها: «رائع فقط؟ ألا تدرك أن هذا قد يخلق شقاقاً بين غاريث وسارة؟».

أكدّ لها بخفة: «أدرك ذلك بالطبع. فهو لن يحب فكرة تأجيل الزواج أبداً».

أجابت إيليا بنبرة راضية: «بالضبط».

بدا أن باتريك لم يعد متحمساً لسماع الخبر كما كان سابقاً فأضافت بنوع من الريبة: «وهذا أمر جيّد، أليس كذلك؟».

أومأ وقال: «جيد جداً. لكني في الوقت الراهن أكثر اهتماماً بمظهرك أنت، فهذا الثوب... تبدين رائعة الجمال».

لم تستطع إيليا مقاومة رغبتها فعادت إلى المتجر واشترت الثوب الازرق الحريري مدركة أنه يكلف ما يعادل الثروة بالنسبة إليها، لكنها لم تهتم لذلك في تلك اللحظة. رفعت شعرها إلى الأعلى ووضعت الكحل في عينيها كما اقترحت عليها سارة فجاءت النتيجة النهائية جيدة. وقد أعجبت باتريك هذه الليلة.

هذه هي مشكلتها إذ لم تستطع أن تنكر انجذابها لباتريك ورغبتها في التواجد معه أكثر، لكنها أدركت في الوقت ذاته أن علاقتهما ليست سوى نزوة عابرة. فما أن تحل هذه المشكلة حتى يعودان غريبين لا يجمع بينهما سوى توبي، لكن عدا ذلك سيظلان غريبين.

إنّ مظهر باتريك الذي كان يرتدي الليلة بذلته الرسمية جعل قلبها يدق منذراً بالخطر، وهو أمر لا تستطيع إيليا أن تسمح لنفسها بالتفكير فيه طويلاً. كما أن هناك الصندوق الأبيض الذي يحمله تحت إبطه.

ذكرته بنبرة جافة: «قلت لي البارحة أن أكف عن تكرار كلامك».

أجابها من دون تردد ورضا تام ونظراته لا تزال تتأملها جيداً: «إن إخبارك بمدى جمال الثوب عليك يستحق التكرار. كما أنه أزرق اللون».

نظرت إيليا إلى ساعة يدها وقالت بنبرة حادة متجنبة الخوض في الحديث عن اختيارها لهذا اللون: «ألا يجدر بنا الذهاب؟ لا بأس في التأخر قليلاً عن الموعد، لكن المبالغة في التأخير تعتبر قلة تهذيب».

ضحك باتريك بنعومة وقال: «بدوت كأمي».

رائع! هذا هو الشخص الذي تودّ تماماً أن تتشبه به!

همّت بأن تضع المعطف عليها فسحبه باتريك من يدها وقال: «كلا، لن تلبسي هذا!».

واتجه إلى الطاولة في المطبخ حيث وضع الصندوق الأبيض ونزع عنه الغطاء، ثم قال وهو يزيل الورقة الداخلية التي تغلف الهدية: «جلبت لك اليوم هدية».

شهقت وقالت: «هدية؟ لي أنا ولكن!».

كرّر باتريك بحزم وهو يسحب شيئاً صوفياً أسود من الصندوق: «أجل لك. إنه شال مصنوع من صوف ماعز شمالي الهند الناعم».

قاطعته إيليا مندهشة وهي تنظر إلى الشال الصوفي: «أعلم مما هو مصنوع. باتريك ما كان عليك . . .».

كانت تعلم أنه باهظ الثمن كذلك.

قال لها بحزم وهو يلف الشال الطويل حول كتفيها بأناقة: «بل كان علي . . . تستحقين شيئاً للتعبير عن شكري لما تفعلينه. اعتبريه هدية مبكرة لعيد الميلاد».

فتحت فمها لتعترض فأضاف: «كما أنّ المعطف الأسود ذلك لا يليق بك».

أدركت إيليا أنه لا يليق بصورة المرأة التي ستكون رفيقته في السهرة. لكن هذا لا يعني أنه لم يكن محقاً بشأن المعطف الشتوي الطويل فهو يهدف إلى بعث الدفء أكثر منه التأنق لكن ما أزعجها هو أن يشتري هدية لها، وليست أي هدية بل هدية غالية الثمن.

لعله موسم الميلاد الذي يحل بعد أسبوع لكن باتريك لم يكن ليشتري لها هدية حينها . . .

كان الشال دافئاً حول كتفيها وملمسه رائعاً ومظهره انيقاً كما أرادها باتريك. لم ترغب في أن ترفض الهدية! تحركت يدا باتريك لتغمرا وجهها وحدقت عيناه فيها تتأملانها ثم قال لها بنبرة جافة: «قولي شكراً باتريك بتهذيب. عانقيني واعطيني قبلة لمزيد من الشكر قبل أن ننطلق».

حاولت ابتلاع ريقها. مازحها مغيظاً: «أهذا صعب جداً؟ حسناً قبّليني وحسب وسأنسى مسألة الشكر».

إذن، ها قد اكتشف ما الذي يزعجها بالضبط! فالتحدي الذي التمع في عينيه الرماديتين الساحرتين المليئتين بالغموض أخبراها بذلك.

لكن، إذا قبّلته كما يقترح، فهل سيتمكن أي منهما من نسيان ذلك بسهولة؟ إيليا لن تفعل حتماً. . قال لها باتريك بجمود: «لا تجعلي القرار يستغرق طوال الليل إيليا! وإلا انتهت الحفلة قبل أن نصل».

إن فكرت إيليا جيداً بعقلها لما وجدت اقتراحه أمراً سيئاً إطلاقاً!

لكنها كانت تراوغ وهي تعلم أنها تفعل، وباتريك يعلم ذلك أيضاً. لِمَ لا تقبّله في جبينه وتنتهي من الأمر؟

وقفت على رؤوس أصابعها وطبعت قبلة خفيفة على وجنته قائلة: «شكراً على الهدية باتريك، لكن ما كان عليك...».

أسكتها بوضع رؤوس أصابعه على فمها ليقول بسرعة: «لا تفسدي اللحظة إيليا، وهل تسمين هذه قبلة؟ سارة تقبلني بحماس أكثر منك».

سارة ابنة عمته، وحرّة تماماً في تقبيله كما شاءت. أما إيليا التي لم تكن واثقة مما تعنيه بالنسبة إليه فهي تشعر بأنها مقيّدة الحركة! شجعها باتريك: «لِمَ لا تحاولين مجدداً؟».

فجأة أصبح قريباً منها أكثر من اللزوم. كانت قادرة على الشعور بحرارة جسمه ورائحة عطر ما بعد الحلاقة الذي يضعه. وعندما نظرت في عينيه وجدتهما متسّعتين... كثيراً بحيث لا يبدو من حدقتيهما سوى هالة رقيقة زمّادية.

همست: «باتريك...».

ضمّها باتريك إليه بشكل غير متوقع فتاهت بين ذراعيه لكنها ظلت تسيطر على نفسها.

بالكاد استطاعت أن تسّمي ذلك سيطرة، إذ رغبت بكل ما في جوارحها أن تذوب في أحضانه.

قال ببطء بعد أن أبعدته عنها قليلاً وألقى جبينه على جبينها: «رائع! هكذا إذاً، لديك مواهب مخفيّة آنسة فايرفاكس».

ابتلعت إيليا ريقها بصعوبة وقالت: «أنا...».

وفجأة ظهر توبي في المطبخ ووقف في مكانه مذهولاً لرؤية مدى التقارب بين إيليا وباتريك وقال مقطباً: «آسف، هل أبدو انيقاً؟ لم

أكن أعلم، أقصد أني...».

أجابه الرجل الأكبر سناً وهو يبتعد خطوة عن إيليا: «لا بأس بك توبي. كنت أخبر أختك كم تبدو رائعة الليلة».

قال توبي وهو ينظر إليها بحيرة ويقطب جبينه: «أجل، تبدين رائعة الجمال أختاه».

بدا مرتبكاً قليلاً فآخر ما توقعه هو رؤية أخته وباتريك على هذا النحو.

تفاجأت إيليا لرؤية توبي يرتدي بذلته الرسمية السوداء والقميص الابيض...

رمق باتريك الشاب الأصغر سناً بنظرة متسائلة، لكن ما رآه على وجه توبي دفعه لأن يهز رأسه بنفاد صبر ويقول: «هل نسيت أن أقول لك إن توبي سيرافقنا الليلة؟».

ثم استدار وحمل المفاتيح عن الطاولة حيث وضعها سابقاً.

لم ينس أن يخبرها وحسب، بل نسي توبي ذلك أيضاً!

٦- عالم آخر

بقيت إيليا لا تملك أدنى فكرة عن سبب مرافقة توبي لهما وهي تجلس في المقعد الأمامي بجانب باتريك.

إنه مساعد باتريك، لكن تلك الحفلة عائلية للاحتفال بخطوبة سارة، أو بالأحرى لمشاركتها حزنها. عليها ان تعترف أن لدى توبي معلومات عن عائلة ديلاكورت أكثر مما تعتقد، لكن أين يمكن أن يكون مكانه في اجتماع عائلي كهذا؟ هزّت رأسها متعبة وقد استسلمت وكفّت عن محاولة تكهّن السبب. لديها ما يكفيها لتفكر فيه هذا المساء أكثر من القلق على سبب دعوة أخيها.

أولاً، هدية باتريك...

لا تزال إيليا تنعم بالدفء المنبعث من الشال وقد أحبت ملمس الصوف الناعم على ذراعيها. من الواضح أن باتريك قد خرج لشراء الهدية بنفسه ما يضاعف ثمنها وغلاوتها.

ثانياً، العناق الحار...

لو أتيحت لها الفرصة، لاعتادت بسهولة معانقة باتريك وضمه إلى صدرها والشعور بدفئه ورائحته التي لا تزال تدغدغ ذاكرتها. لم يسبق لها ان استمتعت بعناق آخر من قبل.

أمرت نفسها بالتوقف عن التفكير في الأمر. فما الفائدة من الاعتياد على معانقة باتريك؟ لن يتكرر هذا مجدداً ولن تعتاد هذا!

كان منزل عائلة ديلاكورت مشعاً بالاضواء. ركن باتريك

السيارة في الموقف الذي ضم أكثر من عشرين سيارة من نوع مرسيدس وجاغوار ورولس رايس ورانج روفر. لاحظت إيليا كل ذلك مقطبة.

لكن لم يسبق لها أن حضرت إلى منزل الرجل وزوجته. ظهر خادم عند الباب فيما قامت إحدى الخادمات بأخذ المعاطف والشالات. كان ترتيب المنزل وأثاثه مذهلين.

هل يملك والدا باتريك منزلا مماثلاً؟ رأت أن هذا ممكن، حتى أنها تذكرت أن توبي أخبرها مرّة أن باتريك كشاب عازب في الثامنة والثلاثين من عمره يقيم في شقة مستقلة في المدينة. كل هذه الفخامة جعلت منزلها يبدو قزماً بالمقارنة.

لكن ما الهدف من المقارنة أصلاً؟ إنّ ثراء أقارب باتريك أسهم في إظهار الفارق بينهما. فارق يستحسن بها تذكره جيداً.

كانت الاحاديث والضحك تتعالى من غرفة الجلوس التي تؤدي إلى قاعة الاستقبال حيث اصطحبهما باتريك وهو يضع يده برفق على ذراع إيليا. وكأنه أدرك أن ما أرادته فعلاً هو التوجه نحو الباب والهرب!

أخبرها بنبرة ماكرة: «عائلتي لا تعض. ليس في اللقاء الأول على الأقل!».

أخذت كوب عصير من أحد الخدم وقالت: «يالـه من أمر مطمئن».

تمتم توبي بشرود: «هلا عذرتماني؟».

واختفى بين الحشود.

راقبت إيليا رحيله بحيرة وسألت: «ماذا...؟».

اقترح باتريك بخفة وهو يمد لها يده: «لنذهب ونلقي التحية على جورج وماري. يستحسن أن تمسكي بيدي فأنا لا أريدك أن تضيعي

في الزحمة».

لم ترغب هي ايضاً في أن يغيب عنها إذ لم تتعرف إلى أي وجه من وجوه الحاضرين عدا جورج وماري اللذين كانا يتحدثان إلى ثنائي في متوسط العمر بالقرب من المدفأة.

كانت الغرفة كبيرة وتمتد على مساحة المنزل مع نافذة عريضة جداً عند أحد الجوانب، نافذة تطل على الحديقة، لكن بوجود أكثر من خمسين شخصاً بالكاد وجدت مساحة للتحرك.

قال باتريك لإيليا باحتيال وهو بالكاد ينجح في دفعها بين الجموع: «عائلتنا كبيرة».

كان لإيليا وتوبي الكثير من الأعمام والعمّات وأبناء العمّ لكنهم بالكاد يملأون غرفة بحجم غرفة الجلوس في منزلها الصغير.

لم تخف حدّة توتر إيليا عند رؤية التشابه بين ماري ديلاكورت والسيدة ذات الشعر الداكن التي تتحدّث إليها، وعلمت أن الاستنتاج الذي توصلت إليه صحيح لمجرّد أن تنبهّت لضحكة الرجل ومدى الشبه بينه وبين باتريك.

إلقاء التحية على جورج وماري يختلف تماماً عن لقاء والديّ باتريك. وتوقفت إيليافجأة قبل الوصول إلى الاشخاص الاربعة ورمقت باتريك بنظرة اتهام وتساؤل قبل أن تقول بعصبية: «لا أظنها فكرة جيدة باتريك».

نظر إليها بقلق وقال بنبرة مغيظة: «إن تعرفك إلى والديّ لا يعني بالضرورة الافصاح عن نوع علاقتنا».

هزت رأسها بإصرار وقالت: «كلا باتريك، أنا هنا للمساعدة في حل مسألة غاريث ولا أريد زيادة الموضوع تعقيداً بلقاء والديك. اذهب أنت وألقِ التحية بينما أذهب أنا إلى غرفة السيدات».

وحرّرت يدها من يده.

قطّب وجهه وقال : «ولكن...».

واجهت نظرته بنظرة تحدي وقالت: «قلت لا، لا يا باتريك، سأكون بالقرب من النافذة عندما تنتهي من الحديث إليهم».

أجاب بنبرة فيها الكثير من نفاد الصبر: «هل تضعين زهرة قرنفل في سترتك؟».

لاح طيف ابتسامة على ثغرها وهي تجيب: «انا لا ارتدي سترة».

هز باتريك رأسه وهو ينظر إليها وقال: «لا شك أنك المرأة الاكثر عناداً التي عرفتها يوماً».

كانت ابتسامتها حقيقية أكثر هذه المرّة وهي تقول: «يسرني أني أتميز عن الاخريات بشيء ما».

لانت ملامح وجهه قبل أن يتنهد باستسلام ويؤكد لها: «أنت أكثر من ذلك إيليا. حسناً لن يكون تعارف بينك وبين والديّ لكن حاولي ألا تتوهي في المكان».

وهذا ما حصل، فعلى الرغم من إرشادات إحدى الخادمات التي صادفتها في الممر، تاهت إيليا مرات عدة قبل أن تعرف المكان. ومضت ربع ساعة قبل أن تنزل الدرج مجدداً، لتصطدم بغاريث مباشرة، أو بالاحرى ليصطدم هو بها لانه كان من اتجه نحو السلالم.

ماتت كلمات الاعتذار على شفتيه حالما تعرّف إليها. وتحولت ابتسامة الاعتذار إلى إبتسامة ساخرة وهو يقول: «ظننت أنك قررت عدم المجيء بعد أن رأيت حبيبك وحيداً».

استقامت إيليا في وقفتها وتشبثت بحقيبة يدها جيداً، فغاريث آخر شخص تود التواجد معه وحدها.

أجابته: «من الواضح أنك أخطأت الظن».

اعترف غاريث قائلاً: «أجل، واضح. لا أعلم ما الذي تودّين أن تصلي إليه بتصرفك هذا إيليا ولكن...».

قاطعت كلامه بجزم: «ليس لدي أدنى فكرة عما تتحدث».

ونظرت من فوق كتفه على أمل أن تلمح باتريك أو توبي أو يلمحاها فينقذاها لكنها لم تر أياً منهما.

قطب وقال: «اعتقدت أنك مغرمة بي إيليا، لكن...».

أجابته بحدّة وقد خطر لها أنها كانت على الارجح مغرمة به حقاً: «إذاً لا تعتقد ذلك».

لعلها كانت تحبه نوعاً ما لكنها باتت واثقة من أن أي مشاعر لديها نحوه ماتت.

أضافت بلهجة احتقار: «وإن كان هناك من أشعر بالحب نحوه الآن، فهو ليس أنت حتماً».

ضاقت عينا غاريث وهو يسأل: «أهو ماك غراث؟».

لم تكن تعرف حقيقة مشاعرها نحو باتريك وقد عملت جاهدة لئلا تفكّر في الأمر على مدى السّاعات الاربع وعشرين الماضية، لكنها رفعت ذقنها بتحدٍ وقالت: «وماذا لو كان هو؟».

أخذ يهز برأسه بشفقة وقال: «أنت تضيعين وقتك معه أكثر مما كنت تفعلين معي. إنها أوهام العظمة!».

ردّت بغضب يعود بمعظمه لادراكها أن ما يقوله صحيح: «وماذا عنك؟ أليست سارة من غير طبقتك كما هو باتريك بالنسبة لي؟».

ذكّرها بثقة: «لكني نجحت مع سارة».

أجابت إيليا بحدّة وغضب: «ليس لوقت طويل، إن نجحت أنا. دعني غاريث!».

شهقت وهو يمسك بذراعها بقوة تماماً كما أمسكها الليلة الماضية لكنه تجاهل كلامها وأبقى قبضته محكمة ثم اقترب منها كثيراً ليحدق فيها بعينين غاضبتين ويقول مهدّداً: «لا تحاولي أن تعبثي معي إيليا، لأنك إن فعلت...».

- هل كل شيء على ما يرام؟

كان توبي من أتى لإنقاذها هذه المرة. حرّر غاريث ذراعها في الوقت المناسب لتلتفت وترى أخاها يسير في الممر.

حيّا الرجل الآخر ببرود قبل أن ينظر إلى أخته بقلق: «دايفيس».

كانت إيليا، تدرك أن توبي رآهما. وشعرت بالصدمة لهجوم غاريث الكلامي فيما شعرت بآثار اصابعه على ذراعها تؤلمها. قال توبي برقة: «إيليا، كان باتريك يبحث عنك لتتناولا الطعام سوياً، أظن أنه يجب أن تنضمي إليه»..

لم تشأ أن تنضم إلى باتريك بل كل ما أرادته هو الرحيل والعودة إلى المنزل لتضميد جراحها. كانت ذراعها تؤلمها حقاً وتزيد حال الرضوض الموجودة أصلاً سوءاً.

تابع توبي كلامه وهو يستدير ناحية الرجل الآخر: «سأبقى هنا. لدي بعض الكلام أقوله لغاريث. لا أظنني هنأته على خطوبته. أليس كذلك غاريث؟».

تركتهما إيليا ورحلت. هذه المواجهات مع غاريث غير مقبولة وتثير الأعصاب. ومع أن باتريك بدا محقاً في تصوّره لما يحدثه وجودها في ثقة غاريث بنفسه. إلاّ أنّ إيليا لم تعد واثقة من أثر تلك اللقاءات في ثقتها هي بنفسها!

بدا باتريك مقطّب الوجه حين انضمت إليه عند النافذة وسألها بغضب: «أين كنت بحق السماء؟ تركت والديّ منذ زمن. لقد... ما الأمر؟».

كسا القلق ملامحه حين رأى عيني إيليا المغرورقتين بالدموع: «إيليا؟».

شهقت حين ضغط على مكان يؤلمها، وعضّت شفتها السفلى بعد أن انهمرت دموع الألم.

حرّر باتريك ذراعها فوراً حين أدرك أنه يؤذيها وسألها على مهل: «أين كنت؟ ولماذا تؤلمك ذراعك؟».

هزت رأسها وحاولت أن تحبس دموعها إذ لم تشأ أن تجعل من نفسها ومن باتريك أضحوكة لاسيما بوجود والديه. قالت: «اصطدمت بغاريث، في الممر...».

صرّ بأسنانه وضاقت عيناه وهو يقول: «هكذا تأذت ذراعك إذن؟».

اعترفت بلهجة غريبة: «ليس تماماً. تعلم أن لدي بعض الرضوض من الليلة الماضية و...».

قال باتريك بنعومة خطرة: «لقد آذاك دايفيس إذن».

كذبت وقالت: «افترض أنه لم يكن يقصد ذلك، أنت تعرف...».

- أجل أعرف.

صرف باتريك باسنانه بقوة وضاقت عيناه وهما تفتشان في الغرفة عن توبي: «أجل أفهم. ها هو توبي، اريدك أن تبقي هنا معه بينما أتحدث قليلاً إلى خطيب ابنة عمتي العتيد».

- كلا باتريك...

لكن الوقت فات إذ تركها وهمس بضع كلمات لأخيها قبل أن يصل إلى الممر. كان ذلك مريعاً! آخر ما كانت إيليا تريده هو التسبب بمشكلة في حفل خطوبة سارة، لكنها متأكدة من حدوث مشكلة كبرى بعد أن رأت ملامح باتريك.

ابتسم توبي وهو يقترب منها قائلاً: «يريدني باتريك أن اصطحبك إلى غرفة الطعام. سينضم إلينا في غضون دقائق».

لعل توبي رافقهما إلى الحفلة لهذا السبب فبهذه الطريقة يضمن باتريك ألاّ تبقى وحدها ابداً...

قالت على عجل وهي تنظر إلى باتريك الذي سرعان ما اختفى من الغرفة: «توبي، باتريك يبحث عن غاريث ويبدو انه سيضربه».

قال توبي بلامبالاة: «ماذا في ذلك؟».

- توبي...

قاطعها بحزم: «إيليا، كنت على وشك أن أضربه بنفسي لو لم أظن أن الكدمات ستظهر بوضوح على وجهه فاخترت تسوية الأمر ببضع كلمات بالحديث. عن الكدمات، أخبرني باتريك أن غاريث آذاك...».

نظر إليها باحثاً، فتنهدت بنفاد صبر متمنية لو لم تأتِ على ذكر ذراعها تحت كم الثوب. قالت من غير اهتمام وعيناها تتسعان حزناً للتفكير في الأمر: «لا بأس، لا يهم. ما يهم هو أن باتريك سيثير بلبلة ويحدث مشكلة».

هز توبي رأسه بثقة وقال لها: «باتريك لا يثير بلبلة ابداً».

لعله لا يفعل، لعله يصل إلى مبتغاه باستخدام تلك النبرة الخطرة التي سمعته يتحدث بها منذ قليل. لكنها شكت في أن يقف غاريث متفرجاً ويتقبل كل ما سيقوله له باتريك. شجعها توبي بخفة قائلاً: «هيا أختاه، دعينا نذهب إلى الغرفة المجاورة ونتناول بعض الطعام».

آخر ما كانت تفكر فيه هو الطعام! كيف لها أن تفكر في الطعام في حين أن باتريك يمسك بعنق غاريث ويكاد يخنقه. تراجعت خطوة وتنهدت تقول عابسة: «لا أريد سوى العودة إلى المنزل يا توبي. في الواقع، بعد ما جرى الليلة، أحتاج لأن أعيد التفكير في حياتي كلها».

لم تعد واثقة بعد الليلة من أنها تستطيع متابعة العمل في المبنى ذاته مع غاريث. إن كان هذا قادراً على أن يتصرف على هذا النحو الخطر بين أقرباء خطيبته، فكيف يمكنها أن تتجنب حقده في المكتب؟ لقد

عملت في شركة ديلاكورت منذ تركت المدرسة حين كانت في الثامنة عشرة من عمرها وقد ترقّت في العمل إلى أن اصبحت سكرتيرة ديلاكورت الخاصة منذ أربع سنوات. إنها تستمتع كثيراً بعملها، أو على الأقل كانت تفعل. فعملها لم يعد ممتعاً منذ بضعة أشهر مع إمكانية التعثر بغاريث في كل زاوية من زوايا الشركة. والوضع قابل للتأزم بعد الليلة!

قطّب توبي جبينه وقال: «لا أظن أنك تحتاجين للقيام بخطوة كبيرة إلى هذا الحد. امنحي باتريك المزيد من الوقت لتسوية الأمور، اتفقنا!».

منحته ابتسامة ماكرة وقالت: «لديك ثقة كبيرة برب عملك».

هزّ أخوها كتفيه باحتيال: «لم يسبق لي أن رأيت باتريك طرفاً خاسراً في أي معركة».

عليها أن تصدق ذلك، فباتريك يبدو الرجل الواثق تماماً بقدراته. لكن تلك المسألة شخصية وعائلية للغاية ولا يمكن التعاطي معها على أنها مسألة محض عملية.

رحبت بها سارة التي بدت رائعة الجمال في ثوبها الأخضر الذي اشترته في وقت سابق من فترة بعد الظهر: «هل صادف أن رأيت خطيبي في مكان ما؟».

شعرت إيليا بوجهها يشحب لسماع السؤال.

و كان توبي من أجاب: «آخر مرة رأيته فيها كان يتحدث إلى باتريك في الخارج. بالمناسبة، أنا توبي شقيق إيليا».

ومد يده بطريقة ودية، ونظرت إليه باهتمام وهي تصافحه وتبتسم بحرارة: «سارة ديلاكورت. أجل، أستطيع أن أرى مدى الشبه بينكما. أنت تعمل مع باتريك, أليس كذلك؟».

صحّح لها بلهجة جافة: «بل أعمل لديه في الواقع».

اتسعت ابتسامة سارة وهي تقول: «طبعاً. حسناً سررت بالتعرف إليك».

وأضافت بنبرة صادقة: «أرجو أن تعذراني، سأذهب وأبحث عن غاريث».

نظرت إيليا بنفاد صبر إلى توبي ما إن اصبحا وحدهما وقالت: «ألا يجب أن تذهب لتحذير باتريك؟».

هز توبي كتفيه بلامبالاة: «تعلمت أمراً بعملي مع باتريك وهو أنه قادر تماماً على الاهتمام بنفسه. دعينا نذهب الآن لنتناول بعض الطعام، أنا أتضور جوعاً!».

ووضع يده تحت مرفقها يقودها برفق نحو طاولة الطعام.

أدركت إيليا أن توبي قد تعلّم امراً آخر من عمله مع باتريك وهو تولي الأمور بالعنجهية ذاتها.

وسكبت الطعام في صحنها من دون أن تعرف ما الأصناف التي اختارتها وهي تفكر في أخاها قد كبر...

امضت وقتاً تفكر فيه على أنه الاخ الاصغر فلم تلاحظ انه نضج وكبر وصار يشبه الرجل الذي يعمل لديه من حيث ثقته بنفسه، وكان على إيليا أن تعرف أنه رجل وسيم ايضاً إذ لاحظت أن إحدى الفتيات التي تبلغ العشرين من العمر تقريباً ترمق توبي بنظرات ذات معنى من تحت رموشها الطويلة وهي تساعده في ملء طبقه.

لم يعد أخوها ذاك الصبي الذي كان بل أصبح رجلاً يجذب النساء، شاب في السادسة والعشرين من عمره، طويل القامة، داكن الشعر، ضاحك العينين، قوي البنية، مفتول العضلات بسبب ممارسته الرياضة مرات عدة في الاسبوع.

متى حدث كل هذا...

- أنت لا تأكلين إيليا!

www.elromancia.com

استدارت لتجد باتريك يقف بجانبها فتأملت وجهه لتتحقق من وجود علامات تدلّ على حدوث شجار. ولحسن الحظ، لم تجد أياً منها.

أجابت بحدّة لشدة ما كانت تشعر بالقلق عليه: «وأنّى لي أن أتناول الطعام وأنا من بين الجميع أعرف أنه قد يكون مغمياً عليك في الممر؟».

بدت كأم عاد ابنها سالماً بعد قيامه بأمر خطير؟ أو كامرأة قلقة على الرجل الذي تحب...؟

لم تهدئ إجابة باتريك من روعها إذا قال: «أمر مستبعد جداً».

التمعت عيناها بغضب وقالت: «هذا ما تقوله لكن...».

قاطعها توبي ضاحكاً: «قلت لك إنّ باتريك قادر على الاعتناء بنفسه».

نظرت إليهما فرأت توبي يضحك وباتريك يستمتع بالمشهد ويرفع أحد حاجبيه بمكر وتمتمت بغضب قبل أن تستدير لتضع المزيد من الأصناف في طبقها عشوائياً: «يا للرجال»!

اقترب باتريك منها ليهمس في أذنها بنبرة مغيظة: «هل ستأكلين هذا كله؟ ربما علينا ان نتشارك الطعام من الطبق ذاته؟».

استدارت إيليا لتجد أنها وباتريك أصبحا وحدهما بعد أن تركهما توبي ووقف يتحدث إلى الفتاة التي سبق أن رمقته بنظرات الاعجاب منذ بضع دقائق. إنه لا يضيّع وقته ابداً!

رفعت نظرها إلى باتريك وقد ازدادت حدّة غضبها لما بدا من تسلية على ملامح باتريك واعترفت: «تخيلت مشاهد القتال الدائر في الممر».

هز كتفيه وقال: «نادراً ما ألجأ إلى العنف».

ثم أضاف بصعوبة وقد غامت ملامح وجهه: «مع أني في حالة

دايفيس كنت لأجري استثناء، لكني أوضحت له جيداً ما الذي سيحصل له إذا ما اقترب منك مجدداً أو لمسك».

رفعت إيليا حاجبيها متأثرة بكلامه.

هزّ باتريك رأسه وقال بسرعة: «العلنا نحتاج لان نناقش استمرار تورطك في كل ما يحدث».

شعرت إيليا بقلبها يتوقف للحظة. ما الذي يقصده بكلامه هذا؟ هل يقصد أن وجودها لم يعد ضرورياً؟

لعلها قررت منذ بضع دقائق أنها بحاجة لإعادة التفكير في أمور حياتها، لأن تتخلى ربما عن عملها في شركة ديلاكورت لتفادي التعثر بغاريث. لكن الخطة لم تكن تتضمن عدم رؤية باتريك مجدداً... وملأتها الفكرة حزناً. منذ أسبوع فقط، لم يكن باتريك سوى رئيس توبي في العمل، ورجل تشاركت معه تجربة محرجة جداً. لكنه بات أكثر من ذلك بالنسبة إليها الآن. لكم أرادت ألا تعترف بذلك لكنها تعلم أنها لا تحتمل عدم رؤية باتريك مجدداً.

كانت خيبتها ظاهرة وهي تقول بفم مزموم: «أصبحت قادراً على تدبّر أمورك من دوني الآن. أليس هذا ما تقصده؟».

رمقها باتريك بنظرة عاتبة وقال: «لم أقل ذلك. بل كنت أفكر أنه من الأفضل لك ربما...».

أخبرته باختصار: «سأقرر بنفسي ما هو الأفضل لي إن كنت لا تمانع! وطالما أني قادرة على مساعدة سارة لتتجنب ارتكاب خطأ فظيعاً، أنوي الوقوف في وجه غاريث».

أتى إعلانها هذا متناقضاً تماماً مع ما كانت تفكر فيه منذ بضع لحظات! لكن الطريقة الوحيدة للاستمرار في رؤية باتريك هي البقاء شوكة في خاصرة غاريث... وهي تريد ان ترى باتريك كثيراً...

٧ - ما الخطوة التالية؟

تثاءبت إيليا متعبة في السيارة التي كان باتريك يقودها في طريقه للعودة إلى المنزل وسألته: «عذراً، لكن كيف قلت لي إن توبي سيعود؟».

هز كتفيه بلامبالاة وأجاب: «أعتقد أن شخصاً التقاه في الحفل سيعيده إلى المنزل».

راهنت إيليا على أن ذلك الشخص هو الفتاة الداكنة الشعر التي كانت تنظر إليه بكثير من الاهتمام عند طاولة الطعام فهي لم تر أخاها كثيراً منذ ذلك الوقت.

خطر لها بشيء من الغيرة أنه شاب محظوظ إذ أمضت هي السهرة بطولها وباتريك إلى جانبها للاسباب الخاطئة.

تنهدت بتثاقل وقالت: «شعرت بالأسف حيال جورج وماري هذه الليلة».

كان حزن الثنائي ظاهراً لاختيار ابنتهما زوجها المستقبلي وقطبت قبل أن تسأله: «ألا تملك سارة أي فكرة عن رأيهما في غاريث؟».

تغضن وجه باتريك وهو يقول: «أعلن جورج عن ... تحفّظه حيال السرعة التي سيتم فيها إعلان الخطوبة. لكن أي خطة أخرى يقوم بها ستجعلها اكثر إصراراً على القيام بالأمور على طريقتها»؟.

استدارت إيليا تبتسم له في العتمة النسبية للشوارع التي كانت السيارة تخترقها وقالت: «إنها ميزة عائلية، أليس كذلك؟».

ظهر طيف ابتسامة على ثغره وهو يجيبها: «شيء من هذا القبيل».

كانت واثقة من ذلك فهذه العائلة جذابة فعلاً لكن العناد هو أحد سماتها الخطرة.

حذّرته إيليا: «سيتعلق غاريث بها كالعلقة».

اشتدت عضلات فم باتريك وهو يقول: «صحيح، إنه طفيلي».

كم أحرجها أن تكون هي المرأة التي وقعت في شباك غاريث سابقاً.

سألته بسرعة: «إذن، ما هي الخطوة التالية؟».

أجابها باتريك بخفة: «أفكر في تناول العشاء يوم الثلاثاء المقبل».

التفتت إليه لتقول عابسة: «وما المناسبة ليلة الثلاثاء؟».

- إنه مجرّد عشاء.

- أجل، لكن لماذا؟

رمقها بنظرة جانبية وقال: «لئلا نموت جوعاً».

- اجل، لكن....

أغاظها قائلاً: «أنت تكررين نفسك يا إيليا. أنا أدعوك على العشاء ليلة الثلاثاء المقبل».

ازدادت تقطيبة إيليا وهي تقول: «لكن...».

قاطعها باتريك بصبر: «إيليا هل ستتناولين العشاء معي ليلة الثلاثاء».

- حسناً، طبعاً. سبق وأخبرتك أني سأفعل كل ما يمكن للمساعدة في...

ركن السيارة في الممر ثم استدار في مقعده ونظر إليها قائلاً: «إنه عشاء معي وحدي إيليا ولن يشاركنا فيه أي شخص آخر. حسناً، أفترض وجود أشخاص آخرين في المطعم حيث سنذهب لكن لن يكون لأي منهم علاقة بنا. هل توضحت لك الصورة الآن؟».

www.elromancia.com

إن كانت تفهم فعلاً ما يقول، فإنه يدعوها للخروج معه في موعد!

ابتسم باتريك لرؤية تعابيرها الحائرة وقال: «أتعتقدين أنه من الطبيعي أن تدعي مضيفك لتناول القهوة عند نهاية السهرة؟».

أذهلتها دعوته لها على العشاء يوم الثلاثاء بحيث دعته للدخول من دون أن تعي تماماً ما تفعله. وترجلت من السيارة ثم فتحت باب المنزل ودخلت إلى المطبخ برفقته.

همس باتريك برقة وهو يأخذ إبريق القهوة من يدها ويديرها لتنظر إليه: «اتركي هذا للحظة، أريد أن أرى أثر الكدمات على ذراعك».

وبدأ برفع الكم.

شعرت بالدفء يلوّن وجنتيها وهو يرفع كمي الفستان. وقفت إيليا مكانها وهو ينظر إلى باطن ذراعها وسمعت همسه الغاضب.

قال بغضب: «كان عليّ أن أضربه عندما سنحت لي الفرصة لذلك. أفكر في أن أعود إلى الحفلة الآن وأوسعه ضرباً».

هزت إيليا رأسها وهي تعيد كميّها كما كانا ثم قالت: «ليس بالشخص المهم فعلاً».

اقترب باتريك منها مسمراً عينيه عليها ووافقها الرأي قائلاً: «فعلاً ليس مهماً. لكني لا أنوي الوقوف متفرجاً وأتركه يؤذيك».

أطلقت ضحكة ساخرة وقالت: «تأخرت كثيراً لتفعل ذلك اليوم!».

تراجع باتريك إلى الوراء يراقبها وهي تحضر القهوة وسألها: «أحببته كثيراً؟».

أجابته بصراحة تامة: «أبداً! ظننت أني أحبه لفترة لكني أفترض أن اهتمامه بي أغراني فقط. صدّق أو لا تصدق لكن يمكنه أن يكون

شديد الإغراء عندما يريد ذلك».

كما أنها تعلم كيف يجعلها باتريك تشعر عندما يكونان في الغرفة ذاتها، شعور أعمق بكثير من الذي عرفته مع غاريث يوماً!

أغفل باتريك كلامها وقال بلا مبالاة: «أنا واثق من أنه كذلك».

ضحكت وقالت: «لا، أنا حقاً أعني ما أقول».

كان الوضع حميماً بشكل غريب في المطبخ! الضوء الخافت المنبعث من تحت خزائن المطبخ وصوت المياه تغلي!

كانت عينا باتريك مسمرتين عليها حين قال بسرعة: «هل تقبلين بتناول العشاء معي يوم الثلاثاء؟».

وافقت باستغراب وهي لا تزال غير واثقة من سبب الدعوة: «حسناً، أجل ولكن...».

أكد لها باتريك بمكر: «كلمة أجل وحدها تكفي...».

ثم لفّ ذراعيه حول خصرها، وأضاف عابساً: «أحب أن أراك سعيدة ومرتاحة وتستمتعين بوقتك كنوع من التغيير».

إن كان يعتقد أنها ستشعر بالراحة برفقته فهو حتماً مخطئ! مع أنها ستستمتع بتمضية الامسية معه.

ليتها فقط تعرف السبب وراء ذلك... لكنه وقف بشكل قريب جداً منها بحيث عجزت عن الوقوف بشكل مستقيم فكيف بالتفكير بدعوته لها للعشاء. كان قلبها يخفق بسرعة جنونية وأنفاسها تتسارع وهي تنظر إلى وسامة وجهه.

قال لها لاهثاً: «تبدين بغاية الروعة الليلة».

ذكّرته بأنفاس متقطعة: «سبق أن قلت لي ذلك».

ابتسم ابتسامة حقيقية فبدت التجاعيد حول عينيه، وضمها إلى صدره بدفء وحنان وهمس في أذنها: «بعض الأمور تحتاج لان

تكرر».

نسيت أن تتنفس مجدداً، وشعرت بالزمن يتوقف. ولو لم تتشبث يداها بكتفيه لسقطت أرضاً.

استمر يضمها بكل ما أوتي من عاطفة: «أنت رائعة الجمال إيليا، وجه ساحر، عينان فاتنتان...».

تململت بين ذراعيه وقالت: «أعتقد أنه يجب أن تتوقف عند هذا الحد».

ابتعد عنها قليلاً وأمال رأسه جانباً ينظر إليها متسائلاً قبل أن يهمس بمكر: «لِمَ يتنابني شعور بأنك في غاية البراءة؟».

انسلت من بين ذراعيه ثم نظرت إليه بانزعاج وقالت معترفة: «ربما لأنني كذلك فعلاً. وما من خطب في ذلك».

اتسعت ابتسامة باتريك وسألها: «وهل قلت إن في ذلك خطب؟».

أجابت بنفور تدافع عن نفسها: «بدا أن لديك مشكلة في ذلك».

هز رأسه وهو لا يزال يبتسم: «لا أظن ذلك إيليا».

حسناً، لعله لا يفعل. لكنه بدا متفاجئاً حتماً للقاء فتاة في السابعة والعشرين من عمرها بهذه البراءة.

ولعل هذا غريب فعلاً. أنى لإيليا ان تعرف! فهذا ليس بالأمر الذي سبق أن ناقشته مع أي من النساء اللواتي عملت معهن.

بعد موت والديها انشغلت إيليا كثيراً بإعالة نفسها وأخيها، ولم يكن لديها الكثير من الوقت للتفكير في إقامة العلاقات. ولعل هذا هو سبب وقوعها تحت تأثير سحر غاريث منذ ستة أشهر! لكن أمام خبرة باتريك الواضحة في مجال النساء، بدت هي ساذجة وحمقاء!

هذا أمر قاس عليها طبعاً! لكنها لا تنوي إعادة تجربة لا تملكها.

كما لا تنوي الظهور بمظهر المرأة المحنكة حيال تعليقات باتريك

على جمالها!

ذكرها برقة وهو يجلس على كرسي في المطبخ: «القهوة إيليا».

تحركت بطريقة آلية في أرجاء المطبخ تحضر فناجين القهوة والكريما والسكر متفادية النظر إلى باتريك ومدركة تماماً أن نظراته تلاحق خطواتها خطوة خطوة...

- هل إن دايفيس؟...

لم يكمل سؤاله عندما أوقعت إيليا الملعقة على الارض محدثة صوتاً. انحنت لتلتقطها ووجهها إلى الأرض تماماً بحيث لا يرى حمرة وجنتيها.

- إيليا؟

مجرد ذكر اسمها اجبرها على النظر إليه. واعترفت بأنها تريد النظر إليه وأن تتأمله بتمعن.

تنهدت بنفاد صبر وهي ترفع صينية القهوة لتضعها بعصبية على طاولة المطبخ قبل ان تسأله متحدية وهي تنظر إليه بعينين زرقاوين غاضبتين: «ما الذي تريد أن تعرفه باتريك؟ ما اذا أصبحنا أنا وغاريث حبيبين حميمين؟ وما شأنك أنت في ذلك؟».

أخبرها باختصار وقد لاحظ نظرتها الفارغة: «أحب القهوة من دون سكر».

- جيد.

جلست بسرعة وهي تصب تركيزها كله على سكب القهوة في الفنجان غير راغبة في أن تفكر في أمر آخر ابداً. بدأ باتريك يقول بلطف: «أنت محقة تماماً فهذا ليس من شأني ابداً. لا دخل لي في مدى حميمية علاقتك بدايفيس عدا أنه...».

نظرت إليه بحدة وسألت: «عدا أنه ماذا؟».

كانت نظراته حادة وهو يتأمل شحوب وجهها: «هل ألحق بك

الاذى إيليا؟».

شعرت بوجهها يشحب وارتجفت يدها وهي تحمل إبريق القهوة لتسكب في أحد الفناجين.

- إيليا؟

اخذت نفساً عميقاً تجبر نفسها على متابعة سكب القهوة من دون أن توقع قطرة واحدة خارج الفنجان. غاريث لم يؤذها لكنه أذلها. لكنها لم تشأ إطلاع باتريك على هذه التفاصيل لانها تعرف أنها لم تكن تعني شيئاً لغاريث. ولأنها تعرف أي نوع من الرجال هو.

منحته ابتسامة مشرقة وأعطته فنجان القهوة من دون أن تسمح لنظراتها بأن تلتقي نظراته وقالت: «هذا ليس مهماً باتريك. نتفق جميعاً على أنه ليس بالشخص اللطيف».

مد باتريك يده يغطي يدها الموضوعة على الطاولة وشجعها قائلاً: «أخبريني ماذا حدث إيليا».

أغمضت عينيها تتمنى لو أنها تستطيع محو الذكرى، ذكرى الأيام التي عرفت فيها غاريث لكنها تعلم انها لن تستطيع.

طلبها غاريث إلى مكتبه عند انتهاء دوام العمل مقترحاً أن يوصلها إلى المنزل. كانت الأمور متوترة بينهما في الأسابيع الاخيرة ونسيت المكالمات الهاتفية وألغت كافة المواعيد، ورحبت بفرصة التحدث إليه على انفراد.

كان توبي لا يزال في العمل عندما وصلا إلى المنزل، لكن قبل ان يدخلا المنزل أخذ يغازلها بشكل مزعج ويعانقها بطريقة غير مقبولة فحاولت ان تبتعد عنه.

أمرها ألا تفعل بعبوس وهو لا يزال يمسك بخصرها ويؤلمها...

وابتسم ابتسامة لم تر مثلها في حياتها، ابتسامة احتقار جعلت معدتها تتشنج وقال لها بامتعاض واضح وقد لاحظ تصلبها: «لو لم

تكوني جامدة متصلبة إلى هذا الحد لما سعيت لايجاد سواك، كما هي...».

حدقت إيليا فيه. لقد شكت في شيء ما بالطبع، إذ كان غاريث شديد التملص على مدى الاسبوعين الماضيين ما جعلها تدرك أن ثمة خطباً ما في علاقتهما.

رفع غاريث حاجبيه تعبيراً عن صدمته واقترح: «بالطبع، لم يفت الأوان بعد. ما زال بإمكانك إقناعي بالمضي في العلاقة إذا...».

قاطعته إيليا بغضب وهي تحدق فيه بقرف وتقول بعينين ضيقتين: «إذا ماذا؟ إن تغيّرت تصرفاتي معك وخضعت لإرادتك وكنت كما تريدني. هل ستنظر حينئذ في أمر استئناف علاقتنا؟».

شكّلت حقيقة وجود علاقة أخرى صدمة لها، لكنها ستفكر في ذلك لاحقاً! حين يرحل غاريث، لأنه سيفعل ذلك عما قريب.

ابتسم ساخراً وقال: «لن أذهب إلى هذا الحد».

اتسعت عيناها وسألته: «هل تقترح أن أصبح إحدى نسائك؟».

ضحك وأجاب: «بالطبع لا إيليا. إذا سارت الأمور كما هو مخطط لها، فيجب أن أتزوج قريباً. لكن هذا لن يشكل سبباً لانفصالنا وعدم استمرار علاقتنا إن تغيّرت الأمور بيننا».

إذا سارت الأمور حسب الخطة! أي خطة؟

ابتلعت ريقها بصعوبة وسألت بنبرة جليدية: «أتعني إن أصبحنا عشيقين؟».

هزّ غاريث كتفيه وقال: «وإلا بالكاد يستحق الأمر المغامرة، فهل ترضين؟».

قالت إيليا وهي ترتجف: «ارحل من هنا!».

قال لها وهو يتراجع خطوة إلى الوراء: «ما من سبب لتتصرفي على هذا النحو إيليا».

استقامت في وقفتها ورفعت ذقنها بتحدٍ قبل أن تقول بنبرة فيها الكثير من الاشمئزاز: «قلت لك غاريث، اخرج من هنا وأنا أعني ما أقول. وليساعد الله المرأة المسكينة التي ستتزوجها».

توقف على بعد خطوات منها وكرر كلامه باحتقار: «يا لك من باردة عديمة المشاعر».

نظرت إليه بعينين باردتين وقالت بعصبية: «لن تعرف ذلك مطلقاً».

ابتسم يؤكد لها باحتقار وقد بدت تعابير وجهه متحجرة فيما هو يرفع يده مودعاً قبل أن يغادر المنزل: «حسناً، أنا قدّمت العرض وقمت بواجبي، أراك».

استدارت نحو باتريك الذي لا تنوي أبداً إخباره بما دار بينهما من حديث. يكفيها أنها تتذكر كل كلمة مؤذية وجارحة قالها لها، وهي لا تريد مشاركة أحد بها لا سيما باتريك. ابتسمت له بلامبالاة وقالت بخفة: «لم يحدث شيء مهم باتريك، أذاني كلامياً فقط، وكما كانت أمي تقول: «العصي والحصى قد تكسر عظامي لكن الكلمات لا يمكن أن تؤذيني».

بدا باتريك غير مقتنع وهو يقول لها: «يمكن للعظام أن تشفى لكن الكلمات لا تُنسى».

كم كان هذا صحيحاً! لم تتمكن من نسيان كلمة واحدة قالها غاريث منذ ستة أسابيع مضت في حين أن كسر إصبعها أو يدها كان ليشفى الآن وتنساه.

هزّت كتفيها وقالت: «لا بد أن غاريث يعتبر المرأة باردة في حال لم ترغب في أن تكون كما يشاء. وهذه مشكلته وحده».

اتسعت عينا باتريك الرماديتان وهو يقول غير مصدّق: «هل قال لك ذلك حقاً إيليا؟ لك أنت!».

قطبت وجهها وقالت بإنزعاج: «أجل قال ذلك لي!».

ضحك باتريك بهدوء قبل أن يهز رأسه ويشرح لها: «أنت محقة إيليا. هو ليس مهماً بالفعل. من الواضح أنه لم يعرفك جيداً. أليس كذلك؟».

سألته تدافع عن نفسها: «ما الذي تعنيه بهذه الملاحظة؟».

نظر إليها باهتمام قبل أن يجيب: «أنت المرأة الأكثر دفئاً وتجاوباً التي عرفتها في حياتي».

احمرّت وجنتاها. لا معنى لان تنكر ما قاله فتجاوبها معه لا يمكن إنكاره بأي شكل.

دار باتريك حول الطاولة ورفعها عن الكرسي من دون أن تقاوم وقال بصوت أجش قبل أن يعانقها: «سأقول لك أمراً آخر. أنا مسرور جداً لأن غاريث لم يحظ بفرصة التعرف إليك جيداً».

وهي مسرورة بذلك أيضاً.

لقد تساءلت في الأيام والاسابيع القليلة التي تلت قطع علاقتها بغاريث وانفصالها عنه ما إذا كانت باردة فعلاً. لكن مجرد وجودها في الغرفة ذاتها مع باتريك وشعورها بوجوده لاسيما حين تكون بين ذراعيه...!

كلا لم تكن باردة بل امرأة تتفاعل مع الرجل المناسب وحسب! رجلها المناسب. لم تكن مناسبة له بطرق عديدة من حيث مستوى الثراء والقوة والنجاح، إلا أنها أدركت أنها وقعت في حب باتريك ماك غراث.

كانت تواجه هذه الحقيقة منذ بعض الوقت وترفض أن تفكر في الامر. لكن في هذا الصمت السائد في أرجاء المطبخ وذوبانها بين ذراعيه، لم يعد بإمكانها أن تمضي في إنكار حقيقة شعورها نحوه.

ولو لنفسها على الاقل.

أما لباتريك فالأمر يختلف!

قالت له بخفة وهي تتعمّد التملّص من بين ذراعيه: «حسناً يريحني سماع ذلك، ربما لدي بعض الأمل في النهاية!».

تبعتها نظرات باتريك بعبوس وقال: «إيليا...».

قالت له بشيء من الارتياح: «سمعت صوت سيارة في الموقف، وأظن أن توبي عاد إلى المنزل!».

يا إلهي! ها هي تنتقل من مصيبة إلى مصيبة أكبر. لا بدّ أنها تفعل ذلك في ما يتعلق بباتريك فهو ليس الرجل المناسب للوقوع في حبه، تماماً كما لم يكن غاريث مناسباً!

٨ - صدمة جديدة

- هل استمتعت بوقتك يوم السبت؟

نظرت إيليا بذهول نحو باب مكتبها المفتوح، وضاقت عيناها وهي ترى غاريث الذي بدا في غاية الحماس والثقة بالنفس.

الثقة بالنفس هي ما دفع إيليا لأن تكون أكثر حذراً مما اعتادته في حضور غاريث غير المرغوب فيه. نظرت باتجاه باب مكتب جورج لتتأكد من أنه مغلق بإحكام وأجابته بلامبالاة: «أقامت عائلة ديلاكورت لك ولسارة حفل حطوبة رائع!».

دخل غاريث المكتب وأقفل الباب وراءه قائلاً: «هذا لا يجيب عن سؤالي؟».

وجلس على حافة مكتبها يرمقها بنظرات ماكرة.

تنهدت إيليا وهي تجيب بلامبالاة: «لم أكن أعتقد أصلاً أن سؤالك يتطلب الاجابة».

كانت لا تزال تحدّق فيه بحذر وهي واثقة من أن حماسته ورضاه لن يدوما طويلاً، فهذا هو حاله هذه الايام. كما تذكرت تصرفاته ليلة السبت. لا تزال الآثار على ذراعها تثبت كم كان غاضباً تلك الليلة.

هزّ كتفيه: «بالمناسبة شكراً على إناء الكريستال، ستكتب سارة رسالة رسمية تشكر فيها كل من قدّم لنا هدية لكني فكرت في أن أقدم لك شكري شخصياً».

www.elromancia.com

إناء كريستال؟ تذكرت إيليا أن باتريك كان يحمل هدية في يده ليلة السبت، لكن ما هي علاقتها بها؟

تابع غاريث باستهزاء: «تهانينا، مع كل الحب من باتريك وإيليا. منذ متى اصبحتما باتريك وإيليا؟».

لم تكن تعلم أن باتريك وضع اسمها بجانب اسمه على بطاقة الهدية التي قدّمها بمناسبة خطوبة ابنه عمته ليلة السبت. وادركت لما فعل ذلك، لكن كان بإمكانه أن يحذرها مسبقاً!

رمقت غاريث بنظرة متحجرة وقالت له باحتقار: «ليس لدي أدنى فكرة لما قد يثير هذا الأمر اهتمامك غاريث!».

كان لا يزال مزهواً بنفسه على نحو لا يصدق: «لست مهتماً. أنا لست مهتماً فعلاً. سيشكل انقلاباً بالنسبة لعائلة فايرفاكس إذا استطعت أنت وتوبي ايقاعه في الشرك».

لم ترد عليه، فهز رأسه مفكراً ورمقها بنظرة اعجاب وقال: «يجب أن اعترف أنك مليئة بالمفاجآت ولا سيما بعد تصرفاتك حيث ادعيت القداسة. تعلمين إيليا أن من بيته من زجاج لا يرشق الناس بالحجارة».

رمقته إيليا بنظرة مشككة. هل هو ثمل؟ كانت الساعة تشير إلى الحادية عشرة والنصف من قبل الظهر، لكنها لم تستطع أن تجد تفسيراً آخر لكلامه الخالي من المعنى.

هزّت رأسها غير راغبة في إطالة الحديث معه ثم قالت بلامبالاة: «سآخذ نصيحتك بعين الاعتبار غاريث. أما الآن فلدي ما أقوم به إن كنت لا تمانع».

ونظرت إلى الطاولة حيث جلس غاريث على بعض الاوراق.

ضحك غاريث من دون ان يبذل أي جهد للتحرك من مكانه وقال: «ألا ترين إيليا؟ ما من داعي لان تستمري بلعبتك تلك

معي، الحقيقة أننا متشابهان أكثر بكثير مما كنت أعتقد».

أجابته بمرارة تدافع عن نفسها: «لا أظن ذلك»!.

اعترض بسرور: «لكننا كذلك فعلاً! من المؤسف أنك تصرفت بكل ذاك الوجوم والتحفظ منذ ستة اسابيع. لشكلنا أنا وأنت فريقاً رائعاً، إضافة إلى توبي طبعاً».

لا بد أنه ثمل! ما من تفسير آخر للحديث الغريب الذي يقوله.

نظرت إليه بنفاد صبر وسألته: «وما علاقة توبي بكل هذا!».

سبق للرجلين أن التقيا في مناسبات معينة حين كان غاريث يأتي لاخذها من المنزل، لكنهما لم يكونا على معرفة وطيدة حسب علمها كما أن غاريث لم يرق كثيراً لتوبي من قبل.

ضحك غاريث بشكل مغيظ وقال: «يمكنك الكف عن الادعاء الآن، فاللعبة انتهت. قد نتمكن نحن الثلاثة من تأليف عصابة نسميها ربما...».

نفد صبر إيليا تماماً وهي تنظر إليه وقالت: «ليس لدي أي فكرة عما تقوله غاريث، كما أنك تجلس على طاولتي ولدي عمل أقوم به. لذا هلا ذهبت الآن من فضلك؟».

وقف ببطء من دون أن تتأثر ثقته بنفسه وأضاف: «حسناً، تستطيعين الاستمرار في اللعبة لكن تذكري أنك إذا حفظت سرّي الصغير فسأحفظ سرّك وسرّ توبي طبعاً».

- غاريث...

توقف جورج فجأة عند الباب الذي يصل مكتبه بمكتب سكرتيرته وقد ضاقت عيناه عندما رأى الشاب يقف هناك: «إيليا كنت سأذهب لرؤية ... غاريث».

بدا غاريث غير مكترث تماماً لمقاطعة المدير وقال لحماه المستقبلي: «عرّجت لاخبر إيليا كم أحببنا انا وسارة الهدية التي أهديانا إياها

هي وباتريك بمناسبة خطوبتنا».

أومأ جورج وهو لا يزال ينظر إلى الرجل بعينين ضيقتين: «حسناً، بما أنك قلت لها ذلك وانتهيت، فهلا تركتها تتابع عملها؟».

سار غاريث نحو الباب بخطى بطيئة وقال مبتسماً: «بالطبع، أظن أني ساراك أنت وماري هذه الليلة على العشاء».

اعترف جورج بملل: «أظن ذلك».

أنهى غاريث حديثه قبل أن يرحل قائلاً: «أراك لاحقاً إيليا».

هذا إن رأته مجدداً. لقد سبق أن وجدته ثقيل الظل لكنها الآن لا تطيقه ولا تفهم كلمة واحدة مما يقول!

تنهد جورج وهزّ رأسه بحزن قائلاً: «أجدني عاجزاً عن تحمل هذا الشاب مهما حاولت».

ابتسمت إيليا وقالت: «لو كنت مكانك لما قلقت بهذا الشأن جورج»!

فقال بوجوم: «ما كنت لاقلق بشأنه لو لم يشأ الزواج بابنتي. كنت على وشك أن أعلن عدم كفاءة غاريث وعدم حاجة الشركة لخدماته حين فاجأتنا سارة بخبر خطوبتها منه. لا أعرف أنا وأمّها ماذا نفعل».

ابتسمت له ابتسامة متعاطفة وأضافت مشجعة: «أعتقد أنكما تقومان بما هو مناسب جداً. غالباً ما يكون عدم التدخل هو أفضل أسلوب».

ابتسم لها جورج ممتناً وقال: «نصيحة متي لك يا إيليا لا تنجبي الفتيات فهن يسببن وجع القلب دوماً».

شعرت بكثير من الأسف نحوه لا سيما وأنها لا تجد ما تستطيع فعله أو قوله لتخفف عنه. استقام في وقفته وكأنه ينفض عنه الحزن ثم

نظر إلى الملف الذي يحمله وقال لها: «سأذهب إلى مكتب جيرالد لبضع دقائق. الموعد التالي عند الثانية عشرة والنصف؟».

أومأت إيليا برأسها بعد أن ألقت نظرة سريعة على دفتر المواعيد وتنهدت بارتياح بعد أن غادر الجميع مكتبها.

كان حديث غاريث أحجية بالنسبة إليها. لكن كل ما يحيط بزيارته لها غامضاً. كيف يمكن له أن يفكر في الزواج من شخص بدا جلياً انه لا يحبه؟ لاسيما امرأة جميلة كسارة.

وكيف يعقل أن تقع في حب رجل تعرف أنّ ما من فرصة أمامها كي تجعله يحبها؟

تردد هذا السؤال في عقل إيليا طيلة عطلة الاسبوع ولا تزال لا تملك جواباً له. كانت تعرف فقط أنها تعد الساعات بانتظار رؤية باتريك مجدداً!

قال باتريك بارتياح عندما فتحت له إيليا الباب عند الثامنة من مساء الثلاثاء: «يسرني أنّك تلقيّت رسالتي ولم تحضري نفسك للخروج».

فتحت له الباب جيداً ليدخل وهي ترفع حاجبيها قائلة: «هل يريحك أن تعلم أني كنت قد ارتديت ملابسي عندما تلقيت رسالتك؟».

كانت ترتدي الآن كنزة زرقاء وسروال جينز.

هزّ رأسه ثم ضحك قائلاً: «كنت أعلم أن توبي لا يخذلني ابداً».

قام توبي بواجبه فأبلغها رسالة باتريك في وقت سابق من هذا المساء ومفادها أنهما سيتناولان الطعام في مطعم للبيتزا وانها بإمكانها أن ترتدي ثياباً غير رسمية. لكن باتريك بدا وسيماً كحاله دوماً بقميصه الاسود وسرواله الجينز.

قال باتريك بلامبالاة: «يبدو أننا لا نخرج سوى بثيابٍ رسمية لذا

فكرت في أنه من الممتع لو نخرج بثيات مريحة هذه المرة».

لم يكن احتمال أن يلتقي باتريك بأحد معارفه وارداً في مطعم البيتزا!.

كان لدى إيليا متسع من الوقت لتفكر برسالة باتريك التي نقلها توبي. لطالما كان احتمال وجود امرأة في حياة باتريك وارداً لكنه لم يقل لها ذلك ابداً ولم تشأ أن تسأل توبي. لعل في حياته امرأة لم يشأ تقديمها لعائلته أو جعلها ترافقه إلى حفل ليلة السبت لكن هذا لا يعني مطلقاً انه غير مرتبط بعلاقة ما. لكنها لم تفكر قط في طرح السؤال عليه!

ارادت أن تفعل ذلك الآن وارادت أن تعرف كل شيء عن باتريك ماك غراث، لاسيما ما إذا كان هناك امرأة ما في حياته!

وهذا لا يعني أنّ إيليا لا تدرك أنها تضيّع وقتها معه لكنها لم تحب فكرة أن يضطر باتريك لشرح علاقتهما لامرأة أخرى. في الواقع لم تحب فكرة وجود امرأة أخرى في حياته أصلاً!

سأل باتريك: «هل تحبين الطعام الايطالي؟».

أومأت إيليا وردّت: «لا بأس به».

وأخذت سترتها عن كرسي المطبخ كما لو أنها تريه أنها لا تلبس دوماً ذلك المعطف الاسود الطويل البشع.

كان الشال الاسود الذي اشتراه لها باتريك موضوعاً بعناية في الورقة داخل الصندوق في الخزانة! وكانت إيليا تعرف أنها قد لا تحظى بفرصة ارتداء مثل هذه القطعة الثمينة مجدداً!

سألته بخفة بعد ان ارتدت السترة: «هل نذهب؟».

نظر إليها باتريك باهتمام وسأل: «هل كل شيء على ما يرام؟ هل ازعجك دايفيس مجدداً؟».

قطبت إيليا وردّت: «عدا عن حديثه الغريب معي صباح

الامس، كلا».

اقترح وهو يفتح لها الباب: «أخبريني بينما نتناول الطعام، إلا إن كنت تظنين أن ذلك سيسبب لنا عسر هضم».

كان داخل السيارة دافئاً وحميماً تفوح منه رائحة عطر ما بعد الحلاقة الذي يحبه باتريك. أجابته وهو يأخذ مقعده في السيارة: «لا أظن أنه يسبب عسر هضم أكثر من أي موضوع آخر».

رمقها بنظرة جانبية وسأل: «ماذا يفترض بهذا أن يعني؟».

تنهدت وردّت: «لا أعلم بعد ما هي مناسبة هذه الامسية...».

هزّ باتريك كتفيه وقال: «ما رأيك لو نعتبرها عربون شكر بعد كل ما عانيته بسبب عائلتي».

أجابت بلامبالاة: «وماذا عمّا تعانيه أنت الآن بسببي؟».

قطب حائراً وسأل: «وما الذي أعانيه أنا بسببك؟».

ابتسمت هازئة وردّت: «تخرج معي».

ابتسم بدوره بمكر وقال: «ليس لدي فكرة عما تتكلمين».

- لا بد أنه أسبوع عدم الفهم.

قال باتريك بنفاد صبر: «انسي دايفيس الآن. أريد أن أعرف ما الذي قصدته بتعليقك».

لاحظت إيليا التصميم في ملامح وجهه وتمنت لو أنها لم تدلِ بتعليقها أبداً. كانت تشعر بالاسف على نفسها لانها وقعت في حب رجل لا يطاق، لكن هذا ليس سبباً يدفعها للتصرف بلؤم مع باتريك أثناء المناسبات القليلة التي تراه فيها.

قالت شبه ساخرة: «إنسَ الامر. إنه التوتر الذي يسبق الميلاد على ما أظن. لطف كبير منك أن تدعوني للخروج معك...».

قاطعها بوجوم: «أعلم أنك لم تعرفيني منذ وقت طويل. لكن حين يتسنى لك أن تتعرفي إليّ بشكل أفضل ستعلمين أني لست ظالماً.

لست رجلاً يدعو امرأة للخروج معه خصوصاً أنت لأنه ببساطة يحاول أن يكون لطيفاً معها!».

سبق أن رأت العديد من أوجه باتريك على مدى الاسابيع القليلة الماضية. فرأته مسلياً ساحراً، وغاضباً حين يتعلق الأمر بغاريث. لكن لم يسبق لها ان رأته منزعجاً كما يبدو الآن!

- آسفة إن كنت قد أخطأت في تقدير الوضع...

عاد يقاطعها بنفاد صبر: «ولا تبدئي بالاعتذار، فأنت لم تفعلي شيئاً تعتذرين عليه. يبدو أني لم أكن واضحاً بما يكفي وهذه حقيقة أود أن أغيّرها».

وانعطف بالسيارة ليركنها إلى جانب الطريق.

نظرت إيليا من حولهما مذهولة وسألته: «ما الذي تفعله؟».

ومن دون ان يتفوه بكلمة فكّ حزام الامان ونظر إليها ثم ضمها إليه بكل شغف العالم وهو يهمس في اذنها: «سأقنعك إيليا فايرفاكس مع الوقت بالسبب الذي يدفعني كي أخرج معك».

لم تعرف ما إذا كانت لمساته أو همساته ما جعلها تشعر وكأنها تطير، لكنها تجاوبت مع عناقه بسهولة متمنية لو أنهما يعلقان هنا إلى الأبد.

وأجابته في غمرة أحاسيسها وقد شعرت أن عظامها تذوب وجسمها يتحوّل إلى سائل تحت تأثير الدفء الذي بعثه فيها: «وعود، وعود».

قال لها: «احذري فأنا رجل يفي بوعوده دوماً».

كانت الامسية والمطعم الايطالي والطعام اللذيذ والحديث بينهما غاية في الروعة، فمرّ الوقت كالحلم بالنسبة لإيليا.

علمت أن باتريك قصد الجامعة وتخرج بتفوق من قسم إدارة الاعمال. لكن بدلاً من أن يعمل كموظف في إحدى الشركات قرر

استثمار قدراته، فأسس لنفسه أعمالاً عديدة ناجحة على مدى خمسة عشر عاماً. كان هذا تحدياً لا يزال يستمتع به!

علمت كذلك أن عائلته مترابطة وأن أخته تصغره بأربعة عشرة عاماً وهي الطفلة المدللة في العائلة.

ما بقيت إيليا تجهله وهو يعيدها إلى المنزل هو ما إذا كانت هناك امرأة أخرى في حياته. وبدا لها أنه ليس بالسؤال الذي يمكن ان تطرحه عليه بعد ما جرى بينهما في وقت سابق من الأمسية.

تمتم عند وصولهما إلى منزل إيليا ورؤية سيارة توبي في الموقف: «اللعنة!».

شعرت إيليا باحمرار وجنتيها إذ أدركت سبب إنزعاجه، فوجود توبي يعني أنهما لن يستطيعا البقاء وحدهما.

استدار باتريك لينظر إليها بعد أن ركن سيارته خلف سيارة توبي وسألها بنبرة جافة: «ألم تفكري في شراء منزل لك وحدك؟».

حتى هذه اللحظة، كلا. لطالما بدا وجود توبي معها في المنزل ذاته أمراً طبيعياً، لكن وفي هذه اللحظة كان على إيليا الاعتراف بمدى خيبتها لأنهما لن يكونا وحيدين.

لامست ذراع باتريك وقالت: «لا بأس، لا يمكننا تغيير الواقع».

- أنت محقة! ستكون هناك مناسبات اخرى.

خرج من السيارة بحماس واستدار حولها ليصل إلى بابها. شعرت إيليا وكأنها تطير في الهواء وهي تمشي برفقته إلى المنزل، لقد قال باتريك إنه ستكون هناك مناسبات أخرى ما يعني من دون شك أنه يريد رؤيتها مجدداً.

تفاجأت لعدم رؤية توبي عند فتحها الباب.

هزّت كتفيها بلامبالاة وقالت: «لا بد أنه أوى إلى الفراش».

اقترب باتريك منها كثيراً وقال لها: «هل يعني هذا أننا عدنا لوحدنا في النهاية؟».

- أعتقد أننا...

وقطعت حديثها حين سمعت وقع خطوات على الدرج لتضيف بمكر وهي تلتفت إلى الباب المؤدي إلى الممر: «ربما لا...».

لكن من دخل المطبخ لم يكن توبي!

لم تجد أي مشكلة في التعرف إلى المرأة التي كانت تنظر إلى توبي باهتمام في حفلة السبت. وإن كانت في الأعلى برفقة توبي...

انفجرت المرأة تقول بحرارة: «شكراً لله على مجيئكما!».

سأل باتريك وقد اصبح حذراً فجأة وهو يبتعد عن إيليا متجهاً نحو المرأة الأخرى: «ما الأمر؟».

كادت المرأة تختنق وهي تجيب: «إنه توبي. أعتقد انه بسبب ما تناوله. اضطررت لاعادته إلى المنزل، لقد شعر بالضعف لدرجة أنه عجز عن القيادة، أنا قلقة جداً عليه!».

وغرقت الشابة بين ذراعي باتريك وأخذت دموعها تنهمر غزيرة على خدّيها.

نظرت إيليا إلى الاثنين بذهول تام. يبدو ان الشابة أمضت الامسية برفقة توبي ومع ذلك فهي تعرف باتريك جيداً. لقد رأتها في حفلة السبت فلعلها قريبته... إلا أنها في تلك اللحظة كانت قلقة جداً على توبي لتحاول أن تحلل علاقتهما. وهرعت نحو غرفة نوم توبي حيث بدا أخوها بحالة مريعة إذ استلقى بضعف على الوسائد والالم ظاهر على ملامح وجهه.

قالت له بحزم: «سأتصل بالطبيب».

ناداها بعد أن خرجت من الغرفة: «اطلبي منه أن يحضر شيئاً يخرجني من هذا العذاب».

استدارت إيليا تحاول الابتسام ثم أومأت قبل ان تسارع إلى نزول الدرج قائلة: «سأفعل».

انبأتها عدم مجادلة توبي لها بشأن إحضار الطبيب بمدى السوء الذي يشعر به، فتوبي كباقي الرجال يكره ان يضطر لرؤية طبيب. سألها باتريك بشكل مقتضب وهو يخرج إلى الممر حيث تجري الاتصال: «أتظنين أنه تسمم من الطعام؟».

أومأت وهي تقطب بانتظار أن يجيبها احدهم: «أظن ذلك».

ثم اقترحت عليه شاردة الذهن: «ربما تستطيع أن تحضر لنا القهوة».

فرد بوجوم: «تيريزا تفعل ذلك. بمن تتصلين؟».

حدقت فيه بذهول من دون ان تتفوه بكلمة، تيريزا؟ هل الشابة التي تحضر القهوة في المطبخ والمرأة التي أمضى توبي السهرة برفقتها هي تيريزا شقيقة باتريك الاصغر؟

- ماذا...؟

كرر باتريك سؤاله بحزم: «إيليا بمن تتصلين؟».

أجابت: «الطبيب».

أخذ منها سماعة الهاتف وقطع الاتصال الذي كانت تحاول القيام به وبدأ يطلب ارقاماً أخرى قائلاً: «سأتصل بطبيبي الخاص ليحضر».

لم تستطع إيليا سوى الوقوف جانباً بينما تحدث باتريك بحزم إلى الشخص الذي أعطاه الارشادات اللازمة ليحضر لمعاينة توبي.

الشابة التي في المطبخ هي نفسها تلك التي كانت تنظر إلى توبي باهتمام ليلة السبت وهي أخت باتريك. تيريزا، تيريزا؟ تيس؟ هل هذا اختصار اسمها؟ هل تيس شقيقة باتريك هي التي أخبرها توبي أنه يواعدها منذ بضعة أشهر؟

وإن كان هذا صحيحاً فلِمَ لم يخبرها توبي أن الشابة هي شقيقة باتريك؟

لَمَ لم يخبرها باتريك بذلك؟

كانت واثقة من أن باتريك على علم بالأمر لأنه لم يندهش على الاطلاق لرؤية أخته هنا. لا بد أنه كان يعرف بعلاقتهما من قبل.

ماذا يعني ذلك كله؟

٩ - استجواب واعتراف

سأل باتريك إيليا: «هل تريدين أن يبقى معك أحدنا ما تبقى من الليل؟».

كان الطبيب قد اتى لرؤية توبي وشخّص أن أخاها مصاب بحالة تسمّم من الطعام.

عاشت إيليا ساعتين من الاضطراب التام بسبب قلقها على أخيها توبي وارتباكها لعلاقته بتيريزا، تيس.

لكن فكرة بقاء باتريك أو أخته معها لبقية الليل لم تغرها حتى أنها لم تكن ضرورية إذ اعطى الطبيب توبي حقنة ليمنعه من التقيؤ. ومع ان أخيها بدا شاحباً إلا أنه كان مستغرقاً في النوم.

أجابته إيليا بشرود: «لن يكون ذلك ضرورياً».

لم يتبخر التوتر التي شعرت به عند معرفتها أن صديقة توبي هي في الواقع أخت باتريك تيريزا.

في الحقيقة كان الوضع اكثر سوءاً إذ ساورتها جميع انواع الشكوك على مدى الساعتين الماضيتين، وكانت بمعظمها مثيرة للاكتئاب.

واضافت بعد أن أدركت أنها لربما تصرفت بشيء من عدم التهذيب: «أنا ممتنة جداً لاحضارك الطبيب بمثل هذه السرعة».

أكمل باتريك بمكر: «لكنك تريدين منا المغادرة الآن».

كانت الساعة قد قاربت الواحدة فجراً وهي شديدة الارهاق من قلقها على توبي كما أن رأسها يؤلمها من الافكار التي لا تنفك تدور

www.elromancia.com

فيه. لذا ارادته ان يغادر هو وأخته.

نظرت إلى الشابة الجالسة إلى طاولة المطبخ تحدق في فنجان القهوة البارد بوجه شاحب، فاستطاعت ان ترى الشبه الطفيف بين الأخ وأخته. فكلاهما أسمر ذو عينان رماديتان ساحرتان لكن في حين كانت ملامح باتريك خشنة بدت تعابير تيريزا ناعمة جميلة.

لِمَ لم تلاحظ الشبه ليلة السبت؟

لأنها لم تكن تبحث عنه! لأن أحداً لم يخبرها ان صديقة توبي هي نفسها شقيقة باتريك الصغرى. هذا ما كان يزعج إيليا في المسألة كلها، لِمَ لم يخبرها أحد عن علاقتهما؟

كانَ من الافضل أن ترسم حدوداً للعلاقة مع باتريك إلى ان تجد الاجابة عن ذلك. أجابت باتريك: «لو كنت مكانك لما توقعت ان يذهب إلى العمل غداً».

شكّت في أن يكون شقيقها قوياً بما يكفي في الصباح للنهوض من السرير.

قال باتريك بنفاد صبر وهو ينظر إلى إيليا مقطباً: «لم أكن لأفعل... إيليا».

أجابته مبتعدة عنه بسرعة موجهة نظرها عن عمد ناحية أخته: «باتريك، لا أظن أن الوقت أو المكان مناسبان للتحدث».

لم تقل ذلك لأن تيريزا منتبهة لوجودهما اصلاً أو للحديث الذي يدور بينهما، فالحزن على وضع توبي يلفّها تماماً، ما يعني أنها تبادل توبي المشاعر التي يكنها لها.

لما لم يخبرها أحد أن توبي يواعد شقيقة باتريك؟

لكن بلى، لعل أحدهم فعل. أدركت إيليا ذلك وهي تتذكر حديثها الغامض مع غاريث يوم أمس.

أخذ غاريث إنطباعاً أن توبي وهي ليسا أفضل منه لانه يعتقد

أنهما يواعدان شخصين من عائلة ماك غراث للاسباب ذاتها التي دفعته لأن يخطب سارة، أي للحصول على المنصب والثروة. لكنه مخطىء كلياً بالنسبة إليهما معاً.

- إيليا؟

رفعت نظرها لترى باتريك يراقبها بقلق، فاقترحت بجمود وهي تنظر ناحية الشابة: «ربّما يجب ان تصطحب أختك إلى المنزل، أعتقد أنها عانت بما يكفي لليلة واحدة».

اضاف باتريك بوجوم: «أظنتا جميعاً مررنا بما يكفي هذه الليلة. سأتصل غداً لأطمئن إلى حال توبي».

ونتابع هذا الحديث... هذا ما لمحت إليه نبرته. حسناً! كانت إيليا بحاجة إلى الوقت والمكان لتنظيم أفكارها. ولم تكن واثقة من أن اثنتي عشرة ساعة تكفيها أصلاً!

أجابت بلطف: «أجل بالطبع. لقد تأخر الوقت كثيراً الآن...».

رمقها بنظرة متأملة أخرى قبل أن يلتفت إلى أخته ويقول: «حان وقت الذهاب تيريزا، أنا واثق من أن إيليا ستتصل بنا إذا احتاجت شيئاً».

أضاف جملته الأخيرة بعد أن بدت تيريزا على وشك الاعتراض.

أكدت إيليا للشابة التي نظرت اليها بحزن: «بالطبع سأفعل».

وقفت تيريزا وهي طويلة ونحيفة وقالت: «يؤسفني أن نلتقي للمرة الاولى في مثل هذه الظروف».

أجل، ربما. كانت إيليا لتفضّل ذلك حتماً.

واستها قائلة: «لا أعتقد أن توبي سيبقى على هذا الحال لفترة طويلة. لعلّه سيحضرك في إحدى الامسيات لتناول شيئاً ما سوياً».

وذلك بعد أن يعطيها توبي تفسيراً لما يجري! فثمة ما يجري هنا.

لكن إيليا كانت بغاية الإرهاق لتفهم ما يجري.

أضاف باتريك بنعومة: «يمكننا نحن الاربعة أن نخرج لتناول العشاء في عطلة نهاية الاسبوع».

استدارت إيليا لتنظر إليه ببرودة وتقول: «أظن أن الأمور يجب ان تتقدم خطوة خطوة...».

شعرت أن باتريك على وشك أن يعترض فأضافت بحزم: «كما أشك في أن يرغب توبي في تناول أي شيء قبل بضعة أيام».

كان كلامها منطقياً بحيث وجد باتريك صعوبة في مناقضته.

حمداً لله! لم تكن ترغب في أن تلتزم بموعد محدد لرؤية باتريك مجدداً، ليس قبل أن تحصل على بعض الإجابات عن بعض الاسئلة الملحّة. إجابات لا يمكن أن تحصل عليها إلا من توبي.

توقفت تيريزا عند الباب وقالت لإيليا: «سأتصل في الصباح إن لم يكن لديك أي مانع».

وافقت إيليا وهي تتجنب نظرات باتريك الذي وقف بجانب أخته: «بالطبع».

ارتجفت تيريزا من البرد الذي لفحها من الخارج فقالت: «الطقس بارد في الخارج».

تمتم باتريك بهدوء: «أجل يبدو أن الطقس تحوّل إلى جليدي بعض الشيء».

رمقته إيليا بنظرة حادة وقد شعرت بأن كلامه يتضمن معنى خفياً. أكّد لها ارتفاع أحد حاجبيه أنها لم تكن مخطئة باعتقادها. أجابت متعمدة أن ترد نظراته: «تشير التوقعات إلى ان الثلج سيتساقط».

لم يسكت بل أجابها: «لحسن الحظ أن الثلوج لا تدوم طويلاً في منطقتنا».

هزّت إيليا كتفيها: «تشير التوقعات إلى ان الثلوج ستتساقط لوقت طويل».

يمكن لكليهما أن يلعبا هذه اللعبة. والى ان تكتشف ما يجري، تنوي أن تحافظ على الوضع الجليدي مع باتريك ماك غراث.

هز كتفيه العريضين وقال: «الجليد والثلج محكومان بالذوبان في النهاية».

فرددت بنبرة باردة: «في النهاية».

حثّت تيريزا أخاها من دون أن تدرك المعنى الخفي في الحديث الدائر بين أخيها وإيليا: «باتريك يمكن مناقشة الاحوال الجوية لاحقاً. يجب أن تدع إيليا تدخل فالجو بارد هنا جداً».

شعرت إيليا وكأنهما عميلان سريان في فيلم من الدرجة الثانية يتحدثان بلغة مشفرة لا يفهمها سواهما!

أومأ باتريك بسرعة قائلاً: «أجل يجب أن نذهب، لكنّي سأعود في الصباح إيليا».

إنه نوع من التهديد الذي تعرفه جيداً. حسناً، إن صح ما قاله الطبيب، فسيكون توبي أفضل حالاً في الصباح. وعندما يصل باتريك سيجد أنها غادرت إلى عملها!

لكنها لن تفعل قبل أن تتحدث إلى توبي بنفسها...

بدا وجه توبي شاحباً وهو يستلقي على وسادته فهزّ رأسه وقال: «ليس لدي فكرة عمّا تتحدثين أختاه».

لقد نام جيداً لمّا تبقّى من الليل وبدا أن الشعور بالدوار والغثيان اختفى تماماً لكنه لا يزال يشعر بصداع.

أخذت إيليا نفساً عميقاً قبل أن تجلس على حافة السرير وبدأت تقول بهدوء: «حسناً، سأعيد صياغة السؤال من البداية: «لِمَ لم تخبرني أن تيس التي تواعدها منذ بضعة أشهر هي تيريزا ماك غراث، شقيقة

باتريك الصغرى».

- أنا...

نصحته بنبرة خافتة وقد أدركت ما سيقوله: «أرجوك لا تقل لي إنّك ظننت أن الأمر غير مهم، لأنك تعرف تماماً أنه كذلك، وأنه لطالما كان كذلك، ولا يزال».

هزّ توبي رأسه وقال: «لا يجدر بك أن تضجري رجلاً مريضاً بكثرة اسئلتك وبهذه الطريقة».

وعاد يستلقي ويغمض عينيه بعد أن احتسى فنجان شاي وتناول خبز محمص.

التمعت عيناها وهي تحذره: «يمكن للامر أن يسوء توبي، إن كان ما أشك فيه صحيحاً فقد ينتهي بي الأمر إلى خنق الرجل المريض لأضع حدّاً لشقاء الجميع».

لقد تسنى لها الوقت خلال ليلة السهاد التي أمضتها كي تفكر وقد توصلت إلى نتائج لا تطمئن، فتح توبي إحدى عينيه بتردد واضح وقال: «لِمَ لا تخبريني ما تظنين وسأقول لك إن كان صحيحاً أم لا».

أجابت بحدة: «ما من جدوى، إن لم تكن تنوي الاجابة بصدق!».

اتسعت عينا توبي وهو يجيب ببراءة: «عوّدتني أختي الكبرى على قول الصدق دوماً».

- أمر مضحك جداً.

إبتسمت إيليا ابتسامة خالية من المرح ونهضت عن السرير وأخذت تذرع الغرفة بنفاد صبر وعيناها مسمّرتان على أخيها ثم تنهدت أخيراً وسألته: «هل العلاقة بينك وبين تيريزا جديّة؟».

أجاب توبي من دون تردد: «أجل».

أومأت إيليا وقد كانت تتوقع الإجابة: «لما وافق باتريك ماك غراث على مرافقتي إلى حفلة الشركة؟».

قطب توبي مذهولاً لتغييرها الموضوع وقال: «أخبرتك...».

قاطعته بنفاد صبر: «أعرف ما أخبرتني به توبي، لكنّي الآن أريد السبب الحقيقي».

هزّ توبي رأسه ثم عبس بعد أن شعر بالألم: «لكنّ هذا هو السبب الحقيقي».

شعرت إيليا بالارتياح لانها أدركت أن لا علاقة له بكل ما خططه باتريك على مدى الاسبوعين الماضيين ما يعني أن كل ما حدث كان من تدبير باتريك وحده. وفكرت في ملاحظات باتريك خلال الاسبوع الماضي عن مدى اهتمام توبي بها وعن شعور أخيها الاصغر بالمسؤولية حيالها وكافة الاسئلة المتعلقة بعدم وجود شخص آخر في حياتها بعد غاريث. اسئلة قادت جميعها إلى النتيجة غير المرضية ذاتها.

وبدت أكثر إقتناعاً بتلك النتيجة الآن بعد أن علمت من توبي أن علاقته بتيريزا ماك غراث جدية. كان باتريك يحاول بيأس إزاحتها من الطريق، نعم تحييدها ولو مؤقتاً من أجل ضمان سعادة أخته مع توبي.

سألته بلطف: «توبي، لِمَ لم تخبرني عن تيس؟».

أجابها بتملّص: «لكنني أخبرتك».

هزّت راسها «أخبرتني فقط انكما تخرجان سوياً من دون أن تعطيني أيّ تفاصيل عنها. كما لم تخبرني أنكما مغرمان فلِمَ هذا كله؟».

أخذ توبي نفساً عميقاً وقال: «أنا واثق من أنك لم تكوني راغبة في معرفة ذلك منذ شهرين!».

منذ شهرين؟ أيعني حين كانت تشك في أنّ غاريث على علاقة بامرأة اخرى. منذ ستة اسابيع تماماً، اكتشفت الحقيقة وتوقفت عن رؤيته.

قالت بنبرة ملؤها العاطفة وقد اغرورقت عيناها بالدموع: «آه، توبي كنت لأفرح لسماع أخبار تسعدك في أي وقت، أجل في أي وقت!».

توبي اختار أن يبقي مدى جدية علاقته بتيس طي الكتمان في محاولة منه لئلا يؤذي أخته.

لكن باتريك ماك غراث ذهب على ما يبدو إلى أبعد من ذلكَ

وعادت تجلس على حافة السرير ثم أخذت يد أخيها بين يديها وسألت: «هل ستتزوجان أنت وتيس؟».

دهش توبي لسؤالها الصريح وأجاب بتملّص متعمداً ألا تلتقي نظراتهما: «ربّما، في الوقت المناسب».

كما كانت تظن تماماً!

كانت علاقة توبي وتيس جدية. ومنذ ستة أسابيع أيضاً بدت علاقة إيليا جدية أيضاً لكن كل شيء انهار من حولها ما جعل توبي يشعر بنوع من المسؤولية تجاهها.

استطاعت أن تفهم الآن ما الذي يحدث تماماً. وعلمت أنه بالرغم من اعتراضات توبي عليها كان يشعر بنوع من الامتنان والدين نحوها لاهتمامها به بعد موت والديهما. لقد دفع انفصال إيليا عن غاريث في ظروف غير سعيدة توبي لتأجيل الحديث عن علاقته بتيريزا ماك غراث.

لكن مشاريع باتريك ماك غراث مختلفة تماماً.

وقفت تقول لأخيها بحزم: «كلا، ما من (ربما) توبي، وما من (مع الوقت) أيضاً. إن كنت تحب الفتاة وهي تحبك فعليك أن تطلب

يدها للزواج».

تغضن وجه توبي ونظر إليها بشقاوة قائلاً: «سبق وفعلت».

فسألته إيليا بحماس: «متى؟».

اعترف بتردد: «منذ ثمانية اسابيع».

رفعت إيليا حاجبيها السوداوين وسألت: «ثم؟».

تحوّلت التقطيبة إلى ابتسامة وأجاب: «قالت نعم».

ضحكت إيليا بتعاطف واخبرته بحنان: «أنت مجرد أحمق توبي. طلبت يدها وواقفت. الخطوة التالية هي ان تشتري لها خاتماً ومن ثم تتفقان على موعد الزواج، وأنا سأرقص في حفل زفافك. هل كلامي واضح توبي؟».

ابتسم إبتسامة عريضة وقال: «جيد».

أومأت راضية عن نفسها ثم قالت: «حسناً، ليس علي سوى أن أتعلّم كيف أتكيّف مع حقيقة أن باتريك ماك غراث المتعجرف سيصبح أحد أقربائي».

قطب توبي وقال: «لكنني ظننت أنه يعجبك».

جداً؟

ابتلعت ريقها بصعوبة واستقامت في وقفتها فكرامتها على المحك هنا وهي ملك لها. قالت: «إنه رئيسك في العمل يا توبي وعليّ أن أكون لائقة معه. أما بعد أن يصبح أخا زوجتك فسأظل أتصرف معه بلياقة. يجب الا يكون الأمر صعباً إلى هذا الحد لا سيما إن حالفني الحظ بما يكفي لئلا أراه سوى نادراً».

استدارت لتغادر الغرفة فوجدت نفسها وجهاً لوجه مع تيريزا ماك غراث!

رمقت الشابة بنظرات متفحصة، وأدركت من ملامح وجهها أنها سمعت كل كلمة قالتها.

١٠ ـ الحقيقة المحرجة

شرحت تيريزا موقفها: «طرقت باب المطبخ مراراً عند وصولي لكن أحداً لم يجب فسمحت لنفسي بالدخول. آمل ألاّ تمانعي».

تمانع؟ لم تكن إيليا تمانع دخول الشابة إلى المنزل لكنها لم تشأ أن تسمع ملاحظاتها عن أخيها!

نادى توبي من داخل الغرفة بنبرة مليئة بالأمل: «تيس...؟».

أشرق وجه تيريزا وهي تسأل: «هل يشعر بتحسن؟».

- كثيراً! سأنزل لأحضر بعض القهوة وأترككما تتحدثان.

وتستعيد بعضاً من الثقة بالذات!

ما رغبت به حقاً هو أن تنشق الارض وتبتلعها!

كانت إيليا ترتجف عند وصولها إلى المطبخ حيث جلست في احد الكراسي بوهن ودفنت وجهها بين راحتيها وهي تتنهد مشمئزة من نفسها! كل ما ارادته من الملاحظات التي قالتها لتوبي هو استعادة بعض من كرامتها المتضررة، لكن ما نجحت في فعله هو إبعاد زوجة أخيها المستقبلية عنها. كيف يمكن لها أن تبرر كلامها لتيريزا من دون أن تعترف بأنها واقعة تماماً في حب ماك غراث؟

تحوّلت تنهيدة الاشمئزاز إلى تنهيدة ألم. لقد وقعت في حب باتريك الذي لم يحاول سوى شغلها عاطفياً بما يكفي لضمان إعلان خطوبة توبي على تيريزا.

باتت واثقة الآن من أن هذا كل ما سعى باتريك إليه على مدى

الاسبوع الماضي. لكنها كانت مغفّلة بما يكفي لتأخذ اهتمامه بها على محمل الجد وتقع في حبه! كيف يمكن لها أن تنقذ نفسها من دون أن يكتشف باتريك حقيقة مشاعرها ومن دون أن تخسر تماماً احترامها لنفسها؟ هنا تكمن المشكلة!

كانت تظن أن افتتانها بغاريث أسوأ ما حصل لها في حياتها، لكن الوقوع في حب باتريك أسوأ من دون شك، لأنه ليس مجرد نزوة ولأن مشاعر الحب التي تكنّها له لا يمكن التخلص منها بسهولة كما فعلت مع مشاعرها نحو غاريث.

فبسبب حبها لباتريك أدركت حقيقة مشاعرها نحو غاريث.

لكنها تستطيع هذه المرة أن تخرج من الأمر بكرامة مصانة، هذا ما قررته وهي تستقيم في وقفتها. عليها أن تفعل!

كانت القهوة حاضرة في الإبريق وموضوعة على الطاولة مع الفناجين والسكر حين نزلت تيريزا بعد عشر دقائق. الابتسامة على وجه إيليا كانت دافئة وتوحي بالصداقة.

سألت تيريزا بخفة: «إنه أفضل بكثير، أليس كذلك؟».

أومأت الشابة برأسها بتحفظ وقالت: «بكثير».

هل كان تصرفها وسؤالها غريبين بعد ما جرى منذ عشر دقائق حين سمعت تيريزا الحديث الذي دار بين إيليا وأخيها.

أخذت نفساً عميقاً ورأت أنه من الافضل أن تدخل في صلب الموضوع: «اسمعي، بشأن ما سمعته عن أخيك في وقت سابق...».

قاطعتها تيريزا بحركة غريبة من يدها وقالت محاولة الدفاع عن أخيها: «أرجوك، أعلم كيف يبدو باتريك أحياناً. إنه فعلاً لا يعني شيئاً بما يفعله. إنه مجرد ... حسناً، إنه معتاد على أن يتولى زمام الأمور، وعادة ما يسحر الناس ويجبرهم على الإذعان له».

كانت إيليا تعلم تماماً عمّا تتكلم!

هزّت رأسها وقالت: «مع ذلك هذا ليس سبباً لـ... لـ... حسناً آسفة لما سمعته من ملاحظات».

رائع! ها قد بررت إيليا نفسها فوراً، واعتذرت عما قالته سابقاً عن شقيق تيريزا!

قالت بسرعة: «هل ترغبين ببعض القهوة؟».

نظرت تيريزا إلى الأغراض الموضوعة على طاولة المطبخ قبل أن تعود وتنظر إلى إيليا: «سيكون هذا لطفاً منك. شكراً».

ثم ابتسمت وجلست.

شكّت إيليا في أن تكون تيس معتادة على الجلوس إلى طاولة المطبخ لتناول القهوة كما باتريك. لعلها تقدم لها في غرفة الجلوس على يد مجموعة من الخدم كالتي تعمل لدى جورج والتي عملت كخلية النحل ليلة السبت.

طرح السؤال أعاد إلى ذهنها تلك الفكرة التي ينقبض لها القلب! اين موقع توبي في هذه القصة كلها؟ ما من شك في أنه وتيريزا مغرمان وكان يسهل معرفة ذلك من أحداث الليلة الماضية! لكن كيف يمكن لشخصين من بيئتين مختلفتين أن يتزوجا؟ كان راتب توبي كمساعد لباتريك جيداً، لكنه لا يكفي حتماً لأن يمنح تيريزا نوعية الحياة نفسها.

- أنا مهندسة ديكور...

رفعت إيليا نظرها عن إبريق القهوة لتجد تيريزا ماك غراث تبتسم بمكر.

هل عكست ملامحها افكارها إلى هذا الحد؟ أم أن تيريزا تتمتع بالقدرة على قراءة أفكارها تماماً كباتريك؟ بعد الملاحظات التي أبدتها إيليا سابقاً عن باتريك بدت هذه الفكرة مقلقة.

هزّت إيليا راسها وقالت: «لم أقصد...».

مدّت الشابة يدها لتضغط على يد إيليا تطمئنها وهي تهز رأسها وتضحك بمرح: «أعلم لكن سبق وناقشت هذه الأمور بالتحديد مع توبي. كان الرعب ينتابه خشية أن يظن الناس أنه يهتم بي بسبب المال فقط».

تماماً كما يهتم غاريث لسارة!

أكدت إيليا بحزم: «ليس كذلك طبعاً!».

أطلقت تيريزا ضحكة أخرى قبل أن تقول: «من دون شك، لو تعلمين كم تورطت في مشاكل وكم لاقيت من صعوبات لأقنع توبي بالخروج معي أصلاً».

هزّت رأسها فتمايل شعرها الاسود الحريري الطويل على كتفيها وتابعت: «بدا أنه يظنني في خانة (ممنوع اللمس) لأني شقيقة باتريك».

تخيّلت إيليا الوضع تماماً، فهي تظن أنه لا يمكن الوصول لباتريك لكنها أجابتها بخفة: «لكن من الواضح أنك سحرته وجعلته يذعن لك».

ابتسمت تيريزا وقالت: «ليس تماماً. أخبرت باتريك عن مشاعري نحو توبي، فتدبر أمر ترددي إلى المكاتب لاغيّر الديكور هنا وفي مكاتب نيويورك».

نيويورك؟ ألم يذكر باتريك مرّة أن توبي في نيويورك مع أحد موظفيه؟ موظف بالفعل. بالكاد يمكن تسمية شقيقة باتريك أو تصنيفها على أنها موظفة. مهما كان رأي تيريزا، فإن لعب باتريك دور الخاطب تجعله رمز الغرور!

أومأت إيليا تقول: «فهمت».

توقفت تيريزا عن الكلام لتطرح سؤالاً بتهذيب: «إيليا؟... هل تسمحين لي بأن أناديك إيليا؟».

أجابتها على الفور: «بالطبع».

وعادت الشابة تقول برقة: «تيس، يناديني أفراد العائلة تيريزا لكني أفضل أن يناديني الاصدقاء تيس. آمل أن نصبح أنا وأنت صديقتين...».

عليهما أن يصبحا كذلك من أجل مصلحة توبي، مع أنه عليها أن تعترف بأنّ من الصعب ألا يحب المرء عائلة ماك غراث التي تتمتع بسحر غريب يجذب الآخرين إليها كالمغنطيس.

تساءلت إيليا إلى اين يمكن أن يؤدي هذا الحديث وقالت مجدداً: «بالطبع».

أومأت تيس وباتت تعابير وجهها جادة وهي تقول: «انا لست فتاة ثرية مدللة أعجبها شيء ما فأرادت أن تتحقق رغبتها بمساعدة شقيقها الأكبر صاحب النفوذ. انا أحب توبي كثيراً والفروقات التي تظنين أنها موجودة بيننا غير مهمة على الاطلاق».

وجدت إيليا نفسها مضطرة لأن تختم الجملة بكلمة: «الآن».

هزّت تيس رأسها بحزم وقالت: «بل دائماً. صحيح أن والديّ غنيّان وشقيقي ناجح وغني أيضاً لكننا تربينا على مبدأ يقضي بأن نبني عالمنا الخاص ونسير في طريقنا الخاص لكسب عيشنا. لم نكن لنجلس ابداً وننتظر الميراث. أعلم كم يبدو ذلك مريعاً ولكن...».

وابتسمت تيس حين اصدرت إيليا صوتاً مخنوقاً قبل أن تضيف: «لكن هذا هو سلوك الكثير من أولاد الاغنياء في هذه الأيام».

ضحكت إيليا غير مصدقة وقالت: «ما كنت أعلم».

وضعت تيس يدها مجدداً برفق على يد إيليا: «ليس عليك أن تعلمي. إن قربك من توبي يجعلكما أكثر ثراء مما يجلبه مال الدنيا. آمل أن تسمحي لي بأن أكون قريبة منكما كذلك».

كيف يمكن لها أن تقاوم سحر هذه الشابة؟ كيف يمكن لتوبي أن

يقاومه؟ من الواضح أنه لم يستطع.

وإن كان زواج توبي من تيس يعني اضطرارها لرؤية باتريك أكثر مما يريحها فعليها أن تعتاد ذلك.

لم تكن تنوي الوقوف في وجه حب تيس وتوبي. فمنحت الشابة ابتسامة دافئة قبل أن تقول: «أكاد أتحرق لأن أرقص في حفل زفافكما».

لكنها شعرت بالندم فوراً لان هذه هي الملاحظة التي سبقت الكلمات المهينة التي تلفظت بها بحق باتريك! ملاحظة تذكرتها تيس جيداً إذ ابتسمت لها وأومأت قائلة: «هذا ما قلته».

شعرت إيليا بوجنتيها تحمران وقالت: «أتمنى فعلاً لو أنك لم تسمعي تلك الملاحظة».

ضحكت تيس بعينين دافئتين وقالت: «لا تقلقي بهذا الشأن إيليا. أنا واثقة من أنه سمع كلاماً أسوأ من هذا ومباشرة».

قطبت إيليا وقالت: «لكن ليس من... المستقبلية، لست أدري ما يسمّون العلاقة بين شقيقة العريس وشقيق العروس!».

ضحكت تيس وقالت: «أنا أيضاً. لكن كما قلت لك، لا تقلقي بهذا الشأن. إذا ما دعت الحاجة سيدافع باتريك عن نفسه، وهو قادر على ذلك تماماً».

- وهل أحتاج لذلك فعلاً؟

التفتت إيليا وشعرت بالذنب لسماع صوت باتريك من ورائها. وكاد الدم يفر من وجهها وهي ترى كيف ينظر إليها بعينين ضيقتين.

هزّ كتفيه وهو يدخل المطبخ ويغلق الباب وراءه قائلاً: «رأيتكما تتحدثان فلم اشأ إزعاجكما بالطرق على الباب».

لم يشأ إزعاجها! كان باتريك يزعجها كلما نظرت إليه! ألا يطرق أي من أفراد عائلة ماك غراث الباب؟

وقفت إيليا فجأة ودعته: «كنا نشرب القهوة، فهل ترغب في فنجان منها؟».

أجاب بلا مبالاة: «كلا شكراً، ما أرغب فيه حقاً هو...».

قاطعته تيس باشراق: «يشعر توبي بتحسن كبير اليوم. لقد غطّ في النوم لكني واثقة من أنه سيسّر لرؤيتك».

ووقفت بقامتها الطويلة النحيفة وسروالها الابيض وقميصها الأسود، لكن نظرات باتريك لم تفارق وجه إيليا المتعب وهو يقول لاخته ببطء: «إصعدي أنت وسالحق بك بعد دقائق».

- آه ولكن...

قال باتريك لتيس بحزم: «سأصعد بعد أن أتحدث إلى إيليا».

رمقت تيس إيليا بنظرة تعاطف قبل أن تغادر المطبخ فكلاهما يعلم أن نبرة باتريك تلك تعني ان ما من جدوى من النقاش.

بدا الجو مثقلاً بالتوتر بعد أن غادرت تيس وبقي باتريك وإيليا وحدهما.

انشغلت إيليا بإزالة الفنجانين عن الطاولة ووضعهما في آلة غسل الصحون إذ وجدت في هذا طريقة لتجنب النظر إلى باتريك على الأقل!

لكنها كانت تعي تماماً أنه يقف خلفها، بكل شعره الاسود وملامحه الارستقراطية وبذلته الرسمية وربطة عنقه الرمادية وقميصه الابيض الذي يغطي عضلات صدره القوية.

هل سيكون الوضع دائماً على هذا النحو؟ تساءلت إيليا بحزن ما إذا كانت هذه المشاعر سترافقها دوماً وما إذا كانت ستحترق بحبها له في السنوات القادمة! ربما حين يتزوج ويرزق بأولاد. وأملت ألا تفعل.

- ما الذي يحصل إيليا؟

اخذت نفساً عميقاً لتسيطر على أعصابها قبل أن تلتفت إليه وقد رسمت على وجهها ابتسامة لا معنى لها وقالت بنبرة أملت ان تكون عادية: «لا فكرة لدي عمّا تتحدث. لقد أحببت تيس بالمناسبة. أنا واثقة من أنها وتوبي سيكونان سعيدين».

راحت الكلمات تتدفق بوتيرة سريعة قبل أن يتمكن من أن يشرح لها ما قصده بتعليقه السابق!

اوماً بلامبالاة، وعيناه لا تزالان تتفحصانها: «لا شك في ذلك. اسمعي، آسف لأنك عرفت بشأنهما بهذه الطريقة».

أجابت بسخرية وهي تدير رأسها نحوه بتحدٍّ: «لا تكن سخيفاً باتريك. لست أدري لما السرية اصلاً. توبي في السادسة والعشرين من العمر وأنا في السابعة والعشرين وقد حان الوقت ليمضي أحدنا قدماً بحياته».

لم تستطع أن تتظاهر بان الأمر ليس غريباً نوعاً ما مع غياب توبي المزعج عن المنزل. ستفتقد حتماً عدم إغلاقه الباب وراءه وتركه الفوضى في الحمام ونسيانه وضع ثيابه في الغسالة كل صباح. لكنها لم توهم نفسها يوماً بأن الوضع الراهن سيستمر على حاله إلى ما لانهاية. فأخوها رجل وسيم حقاً، ولم تشك إيليا يوماً في انه سيجد المرأة التي يحبها ويتزوج بها. أمّا وقوعها في حب شقيق حبيبة أخيها فحقيقة عليها العيش معها!

- إيليا...

قاطعته بحزم وعيناها الزرقاوان تطلقان تحذيراً: «باتريك، أدرك تماماً أنك كنت تلعب نوعاً ما دور السفير لتوبي وتيس في الأيام العشرة الماضية، لكنك لم تكن بحاجة لذلك فعلاً!».

اشتدت العضلات المحيطة بفم باتريك وشعرت بنبضه يتسارع وهو يسأل: «أهذا ما تظنين أنه كان يحصل الاسبوع الماضي؟».

أجابت بلامبالاة متمنية ألا تُظهر ملامح وجهها مشاعر الحب المؤلم التي تشعر بها نحوه: «بالطبع، لكن هذا لا يعني أني لا أقدر لك مرافقتك لي إلى حفل العشاء. يسرني أن أعلم أنك كنت في النهاية تحاول تدعيم العلاقات العائلية».

اقترب منها خطوة ليهمس: «أتظنين أن هذا هو السبب الوحيد الذي دفعني لمرافقتك إلى حفل العشاء؟».

تسمّرت إيليا في مكانها مع أن كل ذرة في كيانها صرخت وطالبتها بالابتعاد عنه. وهزّت كتفيها قبل أن تقول: «بالطبع، أعي تماماً أنك كنت تشعر بالفضول للقاء خطيب ابنة عمّتك، وإلاّ لكانت المهمة شاقة جداً عليك».

التمعت عيناه فجأة وقال بغضب واضح: «ما الذي يحدث إيليا؟ الليلة الماضية...».

أطلقت ضحكة محمّلة بالسخرية وقالت: «الليلة الماضية أعتقد أننا انسجمنا كثيراً في لعب دورنا...».

أصرّ باتريك بخشونة: «لم أعتقد للحظة أننا كنا نلعب أدواراً الليلة الماضية، بل ظننت أننا خرجنا للعشاء لأني دعوتك وقبلت دعوتي وليس لاي سبب آخر...».

وما كان عليها أن تفعل! ما كان عليها مطلقاً أن تمني النفس بإمكانية إقامة علاقة مع باتريك في المستقبل! في الواقع، وبعد أن باتت تعلم السبب الحقيقي وراء اهتمام باتريك، أدركت أن لا مستقبل لتلك العلاقة حتماً!

أجبرت نفسها على إطلاق ضحكة أخرى والقول بتهكم تام: «إذن، ما ظننته خاطئ!».

اقترب منها خطوة إضافية بحيث صار أقرب من أن تتجاهل شعورها بحرارة جسمه وقال: «تجاويك مع عناقي بالأمس ليس من

نسج الخيال».

دافعت عن نفسها وقد تقوّس أحد حاجبيها: «ولا تجاويك أنت ايضاً. لست أنكر الانجذاب الحاصل بيننا، فمن السخف أن أفعل. لكن كما قلت، أعتقد أننا انجرفنا قليلاً لبضع لحظات. لكن هذا لن ينجح في ظل الظروف القائمة. لن ننجح في أن نقيم علاقة لا معنى لها».

أصرّت على متابعة كلامها حتى النهاية على رغم من محاولات باتريك لمقاطعتها. وعادت عضلات فكيّه تنقبض فيما كرر كلامها بنعومة خطيرة: «لا معنى لها؟».

لكن ما الذي يتوقعه منها؟ وماذا يريد منها؟ سبق وتورطت في علاقة كارثية السنة الماضية، والعلاقة مع باتريك تعد بأن تكون أكثر كارثية من سابقتها!

هزّت رأسها وقالت: «باتريك، أعتقد أنّ من مصلحة توبي وتيس الا نمضي وراء هذا الانجذاب. ففي النهاية، وحين يتزوجان، ستربطنا علاقة قرابة ما يجعل تورطنا في علاقة سخيفة أمراً محرجاً».

رمقها باتريك بنظرات متفحصة شعرت أنها تخترق روحها.

تحمّلت إيليا تلك النظرات بقدر ما استطاعت، ولثلاثين ثانية تحديداً! قبل أن تطلق ضحكة لامبالية أخرى وترفع أحد حاجبيها قائلة: «باتريك، ألا ترى أنه يكفيني أن أكتشف مدى انزعاجي من الذهاب إلى العمل وإضطراري لرؤية غاريث أو التحدث إليه، هل لك أن تعفيني من الشعور بالانزعاج ذاته لرؤية أخ زوجة توبي؟».

سأل باتريك بغضب: «أنت تهتمين لأمره في النهاية؟ أليس كذلك؟».

تهتم لغاريث؟ حتماً لا! فقد باتت تراه الآن على حقيقته، ومعرفتها بتلك الحقيقة لم تكن مزعجة وحسب بل محرجة!

لكن اقتراح باتريك منحها المخرج المناسب لما بدا وضعاً غير مقبول ابداً بينهما . . .

هزّت كتفيها بلامبالاة مع أن الادعاء بأنها تشعر بشيء ما حيال غاريث علق في حنجرتها كحجر يصعب التخلص منه وقالت بحزم: «لم أعد واثقة من مشاعري حيال أي شيء».

وفجأة، اصبحت ملامح باتريك عصيّة علن التفسير وهو يبتعد عنها ويقول: «فهمت».

هل فهم فعلاً؟ كانت تشك في ذلك. لكنّها قالت في نفسها إن ذلك أفضل للجميع!

لكن مجرد التفكير في أنها لا تعرف متى سترى باتريك مجدداً ترك إحساساً بالانقباض في صدرها. وسارعت تقول بنبرة غريبة: «أفهم طبعاً أن خطوبة غاريث وسارة لا تزال قائمة وإن كان هناك ما أستطيع فعله . . .».

أجاب باتريك بقسوة: «كأن تحاولي استعادة دايفيس مثلاً؟».

شعرت إيليا وكأن سكيناً يقطع رئتيها بعد ما اعتبرته اهانة من باتريك لكنها أجابت بطريقة هادئة: «لا أظن ذلك».

تعمّدت الرد بهدوء لانها إذا فقدت أعصابها فقد تتفوه بأمور يستحسن بها الاحتفاظ بها لنفسها!

أمور لعينة فاضحة، كأن تعترف له مثلاً بعجزها عن النظر إلى أي رجل آخر بعد أن وقعت في غرامه .

أكّد لها باتريك بكل ما أوتي من برودة رجل الأعمال وجديته: «أظنتا استغليّنا طيبتك بما يكفي!».

ازدادت حدّة الانقباض في صدر إيليا. حسناً، هي من أراد وضع مسافة بينها وبين باتريك وهي من رغب في صون كرامته من أي أذى. وبدا انها نجحت بذلك، بل حققت نجاحاً باهراً في الواقع!

نظرت إلى ساعة يدها وقالت: «هلا عذرتني؟ عليّ الذهاب. لقد تحسّن توبي كثيراً ووعدت جورج بأن أكون في المكتب قبل موعد الغداء . . .».

أومأ باتريك بحزم: «على الأرجح أن تيس ستلازم توبي لمعظم فترة النهار».

- بالطبع.

ترددت بالرحيل مع أنها ادعّت ضرورة ذلك. ترددت في مفارقة باتريك وهي لا تعرف متى قد تراه مجدداً.

حسناً، كانت تعلم أنها قد تراه في حفل خطوبة توبي وتيس وزواجهما. لكن هاتين مناسبتين تعجّان بالناس بحيث لن يحتاج باتريك للتكلم معها إن لم يرغب في ذلك. وقد تقبّلت بعد ما جرى بينهما اليوم إمكانية عدم رغبته في التحدث إليها مجدداً.

رمقها باتريك بنظرة متفحصة أخرى قبل أن يومئ فجأة ويقول: «سأصعد لرؤية توبي الآن».

- حسناً.

ورفعت نظرها إليه آملة الا يرى فيهما ألم الاشتياق الذي يعتصر قلبها، اشتياقها لأن يضمها إليه بقوة.

- ومن ثم أودعهما وأرحل.

استدار بحدّة وغادر المطبخ من دون أن يلتفت إليها بما ينبئ بشدة غضبه ويثبت لها بما لا يحمل الشك أنها تجيد التمثيل أكثر مما اعتقدت بكثير!

لكن هذا لم يساعدها مطلقاً على تحمل البقاء وحيدة مع مشاعرها! أراد جزء منها أن يهرع راكضاً وراء باتريك ويخبره أنها اقترفت خطأ وأنها لم تكن تمثل أي دور وهي بين ذراعيه وأنها تريده بيأس جعل أوصالها ترتعش من الشوق وأنها تريد أي علاقة تبقيها

قريبة منه.

لكنها لم تفعل شيئاً من هذا بل أخذت معطفها ببطء من الخزانة لتخفت الاصوات المتصاعدة من غرفة توبي وغادرت المنزل.

إنها فترة الميلاد! هذا ما أدركته وهي تقود سيارتها بحذرة في الشوارع المزدحمة محصنة تماماً ضد أي شعور ببهجة العيد.

كان توبي يبتعد ليصبح جزءً من عائلة ماك غراث التي تغمره بحنانها، وهو شعور تعرف إيليا أنها لن تنعم به أبداً بعد أحداث اليوم.

١١ - حان وقت التغيير

أعلن توبي بسعادة وهو يرمي معطفه على الكرسي كالعادة: «صار الأمر رسمياً أختاه».

استدارت إيليا إليه متسائلة وقد توقفت عن تحريك الطعام الذي تعدّه فشرح لها: «خرجنا أنا وتيس لشراء خاتم الخطوبة اليوم في فترة الغداء».

كانت تتوقع ذلك وظنت أنها تحضّرت نفسياً له، لكن انقباض معدتها المتزايد أنبأها بأنها لم تكن مستعدة على الاطلاق.

كانت الأمور تحدث بوتيرة متسارعة جداً. لقد تناول توبي العشاء مع آن وتوماس ماك غراث الليلة الماضية ليطلب موافقتهما على زواجهما. ونظراً لرأي باتريك فيه وموقفه الداعم له لم يلقَ أي اعتراض. كانت عائلة ماك غراث متحمسة جداً لابنتها ومرحبّة بتوبي في العائلة وكأنه ابنها الثاني،وهو سيكون كذلك بالفعل.

أما إيليا فلم تتقبل بعد حقيقة خسارة أخيها لصالح عائلة ماك غراث! بل لصالح أحد افراد العائلة على وجه التحديد!

وكما سبق وتوقعت لم تسمع شيئاً عن باتريك منذ حديثهما الاخير وافتراقهما المفاجئ. ومرت عليها ثلاثة أيام طويلة!

فتح توبي زجاجة عصير وأخرج ثلاثة أكواب من خزانة المطبخ وهو يتابع حديثه بنبرة ملؤها السعادة: «سنقيم حفل الخطوبة في منزل عائلة ماك غراث عشية عيد الميلاد».

www.elromancia.com

حفل خطوبة!

ساورت إيليا أحاسيس متناقضة لادراكها أنها سترى باتريك مجدداً فشعرت بالفرح لأنها تتوق لرؤيته مجدداً والأسى لأن رؤيته مجدداً لن تسهم إلا في زيادة توقها إليه. كما أنه قد يحضر الحفلة برفقة إحداهن.

دفعت بمشاعرها الخاصة جانباً وعانقت أخاها مهنّئة وقالت: «هذا رائع توبي. انا مسرورة لكليكما».

كانت نبرتها صادقة وهي تأخذ كوب العصير منه مضيفة: «نخبك ونخب تيس».

شرب توبي القليل من العصير ومشاعره تماثل مشاعرها فرحاً وقال: «نخب أفضل عيد ميلاد على الإطلاق».

عيد الميلاد! على الرغم من معرفتها بأنه سيحل قريباً، إلاّ أنها لم تفكر في الأمر طويلاً. لكن الفكرة طرحت مشكلة جديدة مع خطوبة توبي وتيس فهي لن تتمكن حتى من الاحتفال بعيد الميلاد مع أخيها هذا العام.

لطالما كان موسم الميلاد هادئاً لكليهما، نظراً لعدم وجود أقرباء على مقربة منهما. لكن الاجواء باتت تنذر بفترة ميلاد أكثر هدوءاً هذه السنة.

أعلمها توبي: «كلانا مدعو لتمضية ليلة الميلاد مع عائلة ماك غراث».

شعرت إيليا بالإرتياح لأن أخاها كان يدير ظهره وهو يعلن الخبر وإلا لما فشل في ملاحظة الحزن الذي لم تستطع إخفاءه بالسرعة الكافية.

ليلة الميلاد مع عائلة ماك غراث، مع باتريك!

بقدر ما كانت مشتاقة لرؤيته، بقدر ما كرهت أن تدعى لتمضية

العيد مع عائلته وكأنهم يقدّمون لها صدقة!

قالت وهي تهزّ رأسها ببطء: «لطيف منهم أن يدعونا توبي لكني لا أظن أني سألبي الدعوة».

قال لها توبي مقطباً: «إن لم تذهبي أختي فلن أذهب».

إنه الابتزاز، الابتزاز العاطفي. لكن ليس بهذه الطريقة الشريرة. كانت إيليا تعلم أن توبي لن يرضى بتركها وحيدة حتى لو فضّلت ذلك فعلاً!

أخذت نفساً عميقاً لتضبط أعصابها وقالت بتردد: «ربما نتناول غداء الميلاد سوياً».

لكن صوتاً مألوفاً جداً أجاب من ورائها: «فهمت أن الدعوة لتمضية فترة الميلاد كلها».

استدارت إيليا بحدة لترى باتريك يقف عند الباب. يجدر بها فعلاً تغيير الأقفال لتضمن أن تغلق الأبواب بإحكام.

لم يلاحظ توبي الحزن الذي شعرت به إيليا لحضور باتريك وهو يسكب الكوب الثالث الذي سبق وأخرجه من الخزانة. وقال: «كنّا نشرب نخب تيس وخطوبتنا».

ثلاثة أكواب ما يعني أن توبي كان يعلم بأن الرجل الثالث سينضم إليهما.

رفع باتريك الكوب! وقال للشاب: «نخبك».

لكن نظراته الساحرة الغامضة ظلّت مسمّرة على إيليا التي بادلته نظرته كذلك. من الواضح أن توبي كان يعلم بقدوم الرجل الآخر، لكن لأي سبب؟

أفرغ توبي كوبه ووضعه على الطاولة ثم قال: «سأصعد إلى الأعلى لأبدّل ملابسي، لن أتأخر».

قال باتريك بمكر وهو يسمع خطوات توبي المستعجلة: «ليس

غامضاً جداً، أليس كذلك؟».

كان باتريك يرتدي معطفاً شتوياً أسود فوق بذلة العمل التي ارتداها إلى المكتب. وكان الثلج يتساقط في الخارج فاستقر على كتفيه وشعره الاسود.

واستفاقت إيليا من صدمة حضور باتريك، مع أنها بقيت تشعر بشيء من الحيرة حيال سبب حضوره، فقالت بحذر: «هل يحتاج لأن يكون كذلك؟».

هزّ باتريك كتفيه وقال: «فكرت في الحضور وضمّ صوتي إلى صوت أهلي في دعوتكما لتمضية الميلاد معنا كلنا».

صوته؟ ماذا يعني هذا بالضبط؟

تنهد وهو يضع كوبه قبل أن يضيف: «أدرك أنك لا تودين تمضية الميلاد معي أنا من بين كل الناس لكن إن حاولت عدم مضايقتك فهل تفكرين في الأمر على الاقل».

ابتعلت ريقها بصعوبة وقد تأثرت بعرضه هذا، على الرغم من أنه فهم الأمور كلّها بشكل خاطئ، فهو الشخص الوحيد الذي تود الخروج وتمضية الميلاد برفقته! لكن ليس في ظل الظروف الراهنة. فقالت له: «لا حاجة لذلك فعلاً... من اللطف أن يدعونا والداك ويعرضان علينا تمضية العيد معهم».

التوت شفتاه بابتسامة فرح وأكد لها بنبرة خشنة: «يودون حقاً التعرف إليك إيلي».

هزّت كتفيها وقالت: «أنا واثقة من أنه سيكون لدينا متسع من الوقت للتعارف في حفلة الخطوبة».

اعترف باتريك ببطء: «إيليا، بالنسبة لحفل الخطوبة...».

رفعت نظرها ترمقه بحدّة وتوتر وقد ظنت من جراء تعابيره أنه على وشك أن يقول أمراً لا تحبه وسألته بقلق: «ماذا بشأنها؟».

رد وهو يهز كتفيه لينفض الثلج عنهما: «اسمعي، هل تمانعين في أن أنزع المعطف عني فالجو دافئ هنا».

تضاعف قلق إيليا. من الواضح أن باتريك ليس مستعجلاً الرحيل هذه الأمسية فيما العشاء يطهى على نار الموقد بهدوء والدجاج يتحمّر في الفرن. آخر ما تريد إيليا القيام به هو التصرف بلياقة ودعوته على العشاء. قد تختنق بقطع الدجاج!

سألته بحدّة: «ما الذي كنت تقوله؟».

رفع باتريك كوبه وأفرغه دفعة واحدة وهو ينظر إليها مجدداً ويجيب: «ستكون حفلة عائلية موسّعة إذ ستتم دعوة الجميع من أشقاء وشقيقات وأعمام وعمّات وأبناء أعمام وعمّات!».

ما يعني أن سارة وغاريث سيكونان موجودين من دون شك؟

أكمل باتريك حديثه بنفاد صبر: «ما أحاول قوله إيليا هو هل تستطيعين دفن مشاعر العدائية نحوي ومرافقتي إلى الحفلة؟».

- العدائية...

أتى كلامها صدى لكلماته وشعرت بنوع من الإثارة رغم أنها تدرك تماماً لما قام بدعوتها. إن كان يدعوها لتلعب دور رفيقته ليلة الميلاد فهذا يعني أنه لن يكون برفقة إمرأة أخرى...

لكن هل يظن فعلاً أنها تنظر إليه بنوع من العدائية؟ في حين أنها تبذل قصارى جهدها وتلجأ إلى كل ما أوتيت من قوة لئلا ترتمي بين ذراعيه وتتركه يعانقها ليذوبا معاً. كان هذا ضعفاً لا تنوي الاستسلام له أبداً!

قالت له بنبرة حادّة وهي تهز رأسها: «لا أكن لك أي مشاعر عداء يا باتريك».

إلا إذا... لم تخبر تيس أخاها بما سمعته. كانت تعلم أن الأخ والأخت مقربان من بعضهما البعض كثيراً لكن من السخف أن تقوم

زوجة أخيها المستقبلية بإطلاعه على ما سمعت لان هذا لا يضمن سلاسة العلاقات العائلية.

تغضن وجه باتريك والتوت شفتاه في ابتسامة شبه ساخرة وقال: «لقد كنت مجبرة على التعبير عن مشاعرك نحوي ذاك الصباح».

قطبت وقالت: «أعتقد أني اعترفت بوجود انجذاب بيننا...».

أومأ باتريك وقال: «كما أخبرتني في الوقت ذاته أنك ما زلت تكنين المشاعر لدايفيس».

حسناً، لعلها لمحت إلى شيء من هذا القبيل. لكن ما الذي كان بوسعها فعله في ظل الظروف السائدة حينذاك؟ لا تزال تشعر بالألم من خيانة غاريث ووصوليته اللتين اكتشفتهما منذ شهرين. أفلن يسمح لها بالحفاظ على ما تبقى من كرامتها الآن؟ قالت بنبرة متسارعة: «لندع غاريث خارج الموضوع».

أكد لها باتريك بخشونة وقد ازدادت خطوط وجهه عمقاً: «سيسرني الا أسمع اسمه مجدداً. لسوء الحظ، هذا ليس ممكناً الآن، فهو وسارة سيحضران حفل الخطوبة من دون شك، وأعتقد أنه سيكون من المناسب تكتيكياً أن تكوني رفيقتي».

وضاقت عيناه تماماً.

من المناسب تكتيكياً؟ كرهت إيليا هذه الجملة. لكنها تدرك هنا أنها تصف الوضع الذي وجدت نفسها فيه بدقة.

التوت شفتاها تبتسمان بمكر: «هذه ليست الدعوى الأكثر لياقة التي تلقيتها. لكن إن كنت تظن أن رفقتي ستساعد فيسرني أن أرافقك من دون شك».

لم يكن قراراً خالياً من الإنانية إذ فكرت أنها لن تحب أن تبقى وحيدة في السهرة.

بدأت كتفا باتريك تتحرران من التوتر والارتياح يغزو تعابير

وجهه وهو يبتسم قائلاً: «وهذا ليس الرد الاكثر لياقة على الدعوة، لكني افترض أنه يجب القبول بالوضع كما هو».

نظرت إيليا غيرواثقة مما عليها أن تقوله وبدا أن باتريك يعاني من المشكلة ذاتها، فأصبح جو المطبخ مثقلاً بالتوتر حيث لم تعد تسمع سوى صوت الاوعية على النار تخترق صمت المكان.

بدا لإيليا أنه لو كان الشخص الواقف أمامها غير باتريك لدعته على العشاء...

لحسن الحظ أن توبي اختار تلك اللحظة ليدخل إلى المطبخ وقد بدّل ملابسه فارتدى سترة عادية وسروالاً من الكتان مريحاً. بدا وكأنه فقد شيئاً من حماسته حين انتبه للطعام الذي يتم طهوه فتغضن وجهه وهو يشعر بالذنب وقال: «هل نسيت أن أخبرك أني وتيس سنخرج لتناول العشاء في مطعم صيني الليلة؟».

كلا لم ينسَ. أدركت إيليا بحزن أن توبي لم ينسَ على الإطلاق بل أخبرها لكنها هي من اضاع رأسه ونسي أنه ذكر لها ذلك سابقاً!

بات الذهاب إلى العمل أشبه بكابوس يومي وهي لا تعرف متى قد تتعثر بغاريث وتصبح ضحية المزيد من التهديدات المبطنة. كما أن الحياة في المنزل لم تعد أقل إزعاجاً في هذه اللحظات.

فهي إمّا تتألم لعدم رؤية باتريك وإما تتحول لكتلة عصبية عند رؤيته، وهذا ليس بمؤشر جيد.

نظر توبي إلى الأوعية على النار وقال: «لعل باتريك...».

قاطعه رب عمله وأخ زوجته المستقبلية بحزم: «اذهب توبي...».

- ولكن...

عاد باتريك يقاطعه بحدّة مجدداً: «إذا أرادت أختك دعوتي لمشاركتها طعام العشاء فأنا واثق من أنها ستفعل ذلك من تلقاء نفسها. لا تجبرها أنت على ذلك اتفقنا؟».

هزّ توبي كتفيه وكأنه يستطيع رؤية المشكلة القائمة بينهما ولكن من دون أن يكون لديه ما يكفي من الوقت لحلّها. سار نحو أخته وقبلّها بخفة على وجنتها ثم كرر معتذراً: «آسف حقاً بشأن العشاء».

ورحل مسرعاً وهو يلوح لباتريك.

كان الصمت الذي تركه وراءه أكثر ثقلاً. لم يكن هناك أي صوت سوى ذاك الصادر عن الاوعية على النار.

- من الافضل أن...

- هلا...

تكلّما سوياً ليقطعا حبل الصمت في آن واحد.

هزّت إيليا كتفيها وقالت: «تفضل، من بعدك».

أصرّ باتريك: «السيدات أولاً».

لم تشأ أن تتكلم أولاً لأنها كانت واثقة من أن باتريك يوشك أن يقول إنه من الأفضل أن يرحل. أما هي، بدافع اللياقة الاجتماعية، فقد كانت على وشك أن تدعوه للبقاء ومشاركتها العشاء.

كانت تعي أن باتريك يعلم هذا تماماً وأنه أرادها أن تتكلم قبله لهذا السبب! لكن لمَ بحق السماء يريد أن يبقى ويتناول العشاء معها؟ لم يكن لديها أي فكرة...

أخذت نفساً عميقاً وقالت: «كنت على وشك أن أقترح أن تبقى لتناول العشاء معي إذ من المؤسف أن يذهب تحضير الدجاج المشوي سدى».

ظل باتريك يحدّق فيها لبضع ثوان وأخذت شفتاه تلتويان ثم انفجر أخيراً بالضحك، قبل أن يقول بنبرة غير مصدقة: «تعلمين إيليا أنك لا تسدين لغروري أي خدمة، من المؤسف أن يذهب تحضير الدجاج سدى».

وأخذ يضحك مجدداً. نظرت إليه إيليا بضع ثوانٍ مقطبة قبل أن

تلاحظ الجانب المضحك في حديثها فقد بدت قليلة التهذيب. في الواقع أظهر باتريك لياقة حين ضحك لها هكذا.

قررت أن تقول بسخرية: «هل لي أن أحاول مجدداً؟».

وصححت كلامها: «باتريك أود أن تنضم إليّ لتناول العشاء».

توقف باتريك عن الضحك لكن عينيها كانتا تلمعان وهو يسألها بنبرة مشككة: «بصدق؟».

رددت كلمته: «بصدق».

لعلها ارتكبت خطأً قد تندم عليه لاحقاً، لكنها وفي تلك اللحظة، وبعد مرور بضعة أيام على عدم رؤيته، لم تستطع أن تفكر بسوى مدى رغبتها بتمضية الأمسية مع باتريك، أي شيء يمنعه من المغادرة.

أومأ وقال: «أقبل فرائحة الدجاج المشوي شهية، أفضل بكثير من اللازانيا التي كنت أنوي تسخينها عند عودتي إلى المنزل».

تحركت إيليا لرفع الخضار من القدر وسألته باهتمام: «هل تحضر الطعام بنفسك؟».

كانت تشعر بالارتياح لوجود ما يتحدثان عنه. لكن مهما حاولت، كانت تعجز عن تخيّله يجول في السوبرماركت ويتبضّع!

أومأ باتريك وقال: «أحياناً، هل يمكنني أن أساعدك؟».

عرض عليها المساعدة وفكرت في أن تفتح فمها لتعترض لكنها عادت وقالت في سرّها إن إلهائه بشيء ما يقوم به أفضل من تركه يراقبها وهي تقطع الدجاج وتضعه مع الخضار على الطاولة. قبلت عرضه وقالت: «الشوك والسكاكين في درج الطاولة، والملح والبهار في الخزانة هنا».

كان الوضع حميماً بشكل غريب وهما يتحركان سوياً في المطبخ. سكب باتريك الصودا ليشرباها مع العشاء، ووضع الكوبين على

الطاولة.

وهذا أمر آخر كانت إيليا واثقة من أنه غير معتاد عليه، إذ لا شك في أنه يتناول الطعام في غرفة الطعام في منزله الخاص. حسناً، هما لا يملكان غرفة طعام فالمنزل ليس كبيراً بما يكفي.

قال لها باتريك بسرور وهما يجلسان لتناول الطعام: «يذكرني هذا بطفولتي. كانت المربية تقدم الشاي في الحضانة حين أعود من المدرسة الداخلية».

نظرت إيليا إليه بتساؤل فأخذ يشرح لها: «لم أكن سعيداً حين قرر والداي عند بلوغي الثانية عشرة من العمر أني اصبحت كبيراً بما يكفي لتناول الطعام معهم على الطاولة. لم يكن ذلك مسلياً أبداً».

نظرت إليه باهتمام فحياتهم وطريقة تربيتهم مختلفة فعلاً: «هل استمتعت بالذهاب إلى المدرسة الداخلية؟».

أجاب بلامبالاة وهو يهز كتفيه: «ليس تحديداً، لكنه تقليد عائلي. فأبي وجدي ارتادا من قبلي المدرسة ذاتها. لكني أخشى أن هذا التقليد سينتهي مع أولادي إذ لا انوي إرسالهم ليتعلموا بعيداً عني!».

أولاده! كان يتحدث عن الأولاد بسهولة توحي من دون شك في أنه فكر في الموضوع من قبل.

لكن إيليا وجدت فكرة إنجاب باتريك أولاداً من امرأة أخرى غير مرضية تماماً!

قطع باتريك حبل أفكارها ليقول بحماسة بعد أن تذوق الدجاج: «الدجاج لذيذ جداً إيليا. أين تعلمت الطهو على هذا النحو بحق السماء؟».

احمرّت وجنتاها برضى لإطرائه الصادق النابع من القلب وأجابت بخفة: «أمي وجدتي من قبلي!».

رفع الكوب وقال: «شكراً لأمك وجدّتك».

واضاف بنبرة يحدوها الأمل: «هل لي أن أنتقل للعيش هنا بعد أن يرحل توبي عن المنزل؟».

كان يمازحها وحسب، لكن الفكرة دفعت بالدم إلى وجنتيها. كيف ستكون الحياة مع باتريك والتواجد معه طيلة الوقت؟ والتحدث إليه والضحك معه ومشاركته حياته بكافة تفاصيلها!

ستكون أشبه بالجنة.

لكنها سرعان ما دفعت بالفكرة جانباً واقترحت بسخرية: «أليس من الأسهل ان تحضر لك طاهياً؟».

اعترف باتريك ببطء مبتسماً: «قد يكون أسهل لكنه لن يكون بهذه المتعة!».

نظرت إيليا إليه باهتمام تسأله: «يبدو أنك تهتم كثيراً للتسلية...».

هزّ باتريك كتفيه وقال: «إن كنت لا تستمتعين فيما أنت تعملين أو مع من تكونين فلا فائدة من الاستمرار، أليس كذلك؟».

هل يعني ذلك أنه يستمتع برفقتها؟ وأنه ما كان ليبقى برفقتها هنا ولما قبل دعوتها على العشاء أصلاً لو لم يستمتع؟

هذا ما بدا واضحاً من كلامه، لكن إيليا أدركت أنّ عليها أن تتذكر دائماً أن اهتمام باتريك بها ينحصر بضمان سعادة شقيقته الصغرى...

ولعله يحذرها من غباوة الاستمرار في الاحتفاظ بمشاعر نحو غاريث!

لكم تمنت لو لم تطرح الفكرة! لكنها بدت الفكرة الوحيدة التي استطاعت اللجوء إليها في تلك اللحظة! لكن جزءاً منها ظل يتمنى ألا يصدق باتريك الكذبة التي أطلقتها...

قالت له بصعوبة: «لا يملك الجميع الكثير من الخيارات، فهذه

نعمة لا تتوفر للكل».

نظر إليها باتريك باهتمام وقال: «هل لا يزال العمل لدى ديلاكورت يزعجك؟».

بل يخنقها. هذا هو التعبير الاصح والأصدق لوصف حالتها في الأسبوع الأخير. في الواقع كانت تفكر جدياً في تغيير وظيفتها. لعل الوقت حان لتنتقل إذ عملت في الشركة لما يقارب العشر سنوات وحياتها العائلية على وشك أن تتغير جذرياً بزواج توبي وتيس وانتقال توبي إلى منزل آخر. لذا حان الوقت لأن تنتقل وتغيّر هي أيضاً.

أشاحت بنظرها لتتفادى نظرات باتريك المتفحصة وقالت: «أنا واثقة من أنك لا تهتم فعلاً لسماع مشاكلي».

همّ باتريك بالاعتراض لكنها أكملت: «طعامك على وشك أن يبرد».

ظل باتريك يحدق فيها لثوان من دون أن يتفوه بكلمة قبل أن يميل برأسه جانباً ويقول: «وهو كذلك».

لم يكن الصمت الذي تلا مريحاً من الأسئلة المطروحة لكن باتريك تابع تناول طعامه بمتعة تامة وإيليا بحماسة أقل.

شعرت أن ثمة الكثير من الكلام الذي يود باتريك قوله لها لكنه لم يفعل. وبات الحديث الذي بقي من دون أن يقال هو ما يزعجها الآن.

قال لها باتريك بمرارة عند الانتهاء من تناول الطعام: «كان هذا ممتازاً إيليا».

وقفت لترفع الصحون، قبل أن تقول له بوجه متغضن: «أخشى أننا لا نقدّم التحلية هنا».

رجع يستريح في كرسيه وينظر إليها من فوق الطاولة: «أنا لا أتناولها اصلاً».

– إيليا، هل تظنين؟...

قطع كلامه طرق على الباب الخلفي وتشنجت عضلات جسمه وضاقت عيناه وهو يرى غاريث يفتح الباب ويدخل. حدقت إيليا في الرجل الآخر غير مصدقة تماماً ما يحصل. ما الذي يفعله غاريث هنا بحق السماء؟

www.elromancia.com

١٢ - لن تحتمل أكثر

لم يبد غاريث متفاجئاً لرؤية الرجل الآخر جالساً في المطبخ مع إيليا. وسرعان ما أدركت أنه رأى من دون شك سيارة المرسيدس متوقفة في الخارج فاستنتج انها تعود لباتريك.

ما يطرح السؤال التالي: لما اتى غاريث إلى هنا وهو يعلم أن باتريك موجود؟

لما اتى غاريث أصلاً؟

لم يكن هذا ما يهمها فعلاً فنظرة واحدة إلى عيني باتريك الضيقتين شكاً وشفتيه الملتويتين اشمئزازاً كانت كافية لاخبار إيليا أنه استنتج سبب وجود غاريث في منزلها.

شعرت بقلبها يكاد يتوقف بعد أن أدركت معنى الاستنتاج الذي توصل إليه باتريك، وهو استنتاج خاطئ. من الخطأ أن يعتقد إنها لا تزال تكنّ أي مشاعر لغاريث، مشاعر تجعله يأتي ويترك لدى باتريك الانطباع بأن علاقتهما لم تنتهِ.

ابتسم غاريث ابتسامة واثقة وهو يرحب بباتريك ثم يحيي إيليا بحرارة.

وانصب اهتمام باتريك على الرجل الآخر، فشعرت إيليا بحرية تامة في أن ترمق غاريث بنظرة كراهية عبر المطبخ. بدا غير مكترث إطلاقاً بعدم ترحيبها به وواثقاً كثيراً من نفسه بحيث رغبت بمسح تلك الابتسامة عن ذاك الوجه الوسيم!

رفع حاجبيه بمكر رداً على تعابير وجهها المتفاجئة وقال لها بابتسامة تحدّ: «لم تسنح لي فرصة رؤيتك إذ غادرت المكتب باكراً لذا مررت لأتمنى لك ميلاداً سعيداً».

سعيداً... ما الذي يقصده غاريث تماماً من وراء تصرفه هذا؟ مع حلول الميلاد بعد أسبوع، أخذ موظفو شركة ديلاكورت عطلة لأسبوعين وغادرت إيليا عند الساعة الخامسة مساءاً. كما قررت ألا تحضر الحفلة التي تقيمها الشركة في المكاتب لتجنب رؤية غاريث وإفساد نهارها! لكن بعد أن وصل إلى منزلها فكرت أنه كان بإمكانها توفير كل هذا العناء على نفسها.

كان باتريك من أجاب الرجل بخشونة: «كان بإمكانك أن تفعل ذلك ليلة الميلاد. سيقيم والداي حفلة كبرى في تلك الليلة للاحتفال بخطوبة أختي تيريزا من شقيق إيليا. ستكونان أنت وسارة من بين المدعوين طبعاً».

ظهرت ومضات من الشك في عيني غاريث ما دل على أن الخبر جديد بالنسبة له لكنه سرعان ما أخفى مشاعره وراء قناع الابتسامة الواثقة وقال بنعومة: «بالطبع. لكن الحفلات الكبرى لا تتخذ طابعاً شخصياً أليس كذلك؟ وإيليا وأنا صديقين حميمين».

لم نكن صديقين حميميم بالمعنى الذي قصده. وإلا لأصبح الوضع أكثر إذلالاً لو كانت هي وغاريث حبيبين حقيقيين!

ضاقت عينا غاريث وهو ينظر إلى إيليا ويسأل: «أليس لديكما أنتما الاثنين ما تحتفلان به أيضاً؟».

يعتقد فعلاً أنها وتوبي ليسا أفضل منه فقالت بغضب: «خطوبة توبي وتيريزا وحسب».

فأكد غاريث بنعومة: «أجل، بالطبع».

أتت نعومة تأكيده مغيظة جداً لإيليا. لِمَ لا يرحل؟ من الواضح

أنه نجح في تحقيق الهدف الذي جاء من أجله، أو بتعبير آخر، نجح في ايجاد وضع صعب لإيليا مع باتريك. لذا، لمَ لا يرحل الآن؟

تابع غاريث كلامه بنبرة راضية: «يبدو أننا سنصبح في النهاية عائلة كبيرة سعيدة، أليس كذلك؟».

أجابه باتريك بنبرة جليدية: «اثنان منا من أصل ثلاثة ربما».

ونظر إلى الرجل يرمقه بنظرة احتقار ويضيف: «وفي حالتك ما كنت لأثق كثيراً بالثالث».

نظر غاريث إلى باتريك باهتمام وهمس ببطء يوحي انه تأذى كما لو أنه ولد صغير: «ينتابني شعور بأنك لا تحبني أنا بالذات».

لاحظت إيليا أن باتريك لم يبد متأثراً بما قاله الرجل الآخر.

ما أرادته في تلك اللحظة هو رحيل الاثنين معاً. كانت أعصابها مشدودة للغاية في الساعة الماضية ولم يساهم وصول غاريث منذ بضع دقائق إلا في زيادة الأمر سوءاً. وبدأت تشعر بالسوء فعلاً لاسيما وأنها لا تدرك ما قد سيقوله غاريث بين دقيقة وأخرى. بدا الرجلان اشبه بمقاتلين في حلبة مصارعة.

قال باتريك باشمئزاز وقبضتاه مشدودتان إلى جانبيه: «لم أحب في حياتي الرجال الذين يشعرون بالحاجة لضرب امرأة».

حملق غاريث في إيليا يسألها: «ضرب؟ إيليا؟... ما الذي قلته لباتريك بحق السماء.؟»

بدا اقل ثقة بنفسه الآن.

نظر باتريك إلى غاريث بتحد وقال: «لم تكن بحاجة لإخباري فقد رأيت بنفسي آثار الكدمات التي تركتها على ذراعها ليلة حفل الشركة في منزل عمي وعمتي! في المرة المقبلة التي تحتاج فيها لتهديد أحدهم تعال إليّ إتفقنا!».

أدركت إيليا أن الأمور سرعان ما ستخرج عن السيطرة، وإن لم

تضع حداً لها الآن فسيتقاتل الرجلان في مطبخها.

خطت خطوة إلى الأمام بحيث باتت تقف بينهما تماماً وقالت بغضب: «اسمع غاريث لقد قلت ما جئت من أجله، والآن ارحل».

وفكرت في نفسها: وحققت مرادك.

ظل يسمّر عينيه على باتريك للحظات طويلة قبل أن يميل برأسه ويهز كتفيه بلامبالاة قائلاً: «أتطلع لرؤيتكما ليلة الميلاد».

فأجاب باتريك بقسوة فيما غاريث يغادر: «لا تتطلّع إلى ذلك كثيراً حتى».

توقف غاريث عند الباب والتفت إليهما قائلاً: «حددنا أنا وسارة موعد زواجنا. سيكون في عطلة نهاية الفصح».

فأجابه باتريك بهدوء: «يمكن لأمور كثيرة ان تحصل في غضون ثلاثة أشهر ونصف».

أطلق ضحكة ساخرة وقال: «من يعلم؟ قد تقرران أنت وإيليا جعله زواجاً ثنائياً!».

ولم يكتف بما قاله بل عاد يغيظ إيليا بابتسامة رضا عن النفس بعد أن رأى الإحراج الذي شعرت به من اقتراحه الجريء ثم أضاف بخفة قبل ان يرحل نهائياً: «أراكما».

إن كانت تظن الوضع مشحوناً قبل وصول غاريث فقد بات الآن مضغوطاً ومحموماً إلى حد الانفجار.

لم يكن غاريث سوى مغرور يهوى التسبب بالمشاكل...

قطع باتريك الصمت ليقول وقد التوت شفتاه اشمئزازاً لم يحاول إخفاءه: «لم ولن أفهم أبداً ما الذي رأيته أنت وسارة في هذا الرجل».

أصبحت إيليا ترى غاريث بالعين التي ينظر بها إليه باتريك. لكنها أدركت وهي ترى نظرة الاحتقار على وجهه أن محاولة إطلاعه

على رأيها مضيعة للوقت.

هزّ باتريك رأسه بنفاد صبر وقال وهو يرفع معطفه عن كرسي المطبخ: «أظن أنه يجدر بي أن أرحل الآن، هل تريدين أن اقلك ليلة الميلاد أم تذهبين مع توبي؟».

كل ما أرادته إيليا في هذه اللحظة هو الجلوس والبكاء حتى التعب، هذا ما ستفعله بالضبط حالما يغادر باتريك. في الواقع ان لم يرحل بسرعة فقد تنهار وتجهش بالبكاء أمامه.

أجابت بهدوء وعيناها لا تفارقان الأرض: «سأذهب مع توبي».

أجاب بنفور قبل أن تلين لهجته قليلاً: «جيد، شكراً على العشاء».

نبرته كانت النقطة التي جعلت الكوب يفيض، فسالت الدموع ساخنة على وجنتي إيليا وعلقت الشهقة جارحة في حنجرتها.

بعد أن رأى الدموع في عينيها رمى باتريك معطفه مجدداً على الكرسي واقترب ليقف أمامها وهمس ويده تمتد لترفع ذقنها لتنظر إلى وجهه مباشرة: «أنه لا يستحق ذلك وأنت تعرفين».

سالت الدموع بغزارة أكبر على الوجنتين بعد ان أساء فهم سببها اصلا وبعد أن أدركت أنها لا تستطيع ان تصوّب وجهة نظره وتخسر كل ما حاولت على مدى الأيام الماضية. سيكون الوضع غاية في الإذلال إن أدرك أن دموعها تنهمر بسبب حبها له وليس بسبب مشاعرها نحو غاريث كما يفترض!

قال باتريك وهو يهز كتفيه: «لِمَ تقع النساء الطيبات دوماً في حب السفلة؟».

هزّت كتفيها تجيب: «لا تزال شابة و...».

قاطعها باتريك بخشونة وعيناه الباردتان تسمرّانها: «كنت أقصدك أنت!».

رمشت إيليا بعينيها ونظرت إليه بشك قبل أن تسأل: «وهل أنا امرأة طيبة؟».

أكد لها بنفاد صبر: «بالطبع أنت كذلك، بل إحدى أكثر النساء اللواتي صادفتهن في حياتي كلها طيبة. في الواقع مشكلتك الوحيدة هي ميولك للوقوع في حب الرجل الخاطئ».

أطلقت ضحكة مخنوقة: «الوحيدة؟...».

وسألها بنفاد صبر: «وهي سخيفة أليس كذلك؟».

لم تجب عن سؤاله، فتابع بنبرة حاسمة: «لكني سأقول لك أمراً واحداً، إيليا، بعد حديثي الليلة مع هذا الرجل، لن أسمح له بالزواج من سارة إلا على جثتي».

رمقته بنظرات متفحصة. ماذا عنها هي؟

ظل باتريك يتأملها لوقت طويل قبل ان يحرر ذقنها ويبتعد عنها خطوة إلى الوراء ليقول وهو يرتدي معطفه: «حالما أحل هذه القضية.. سأفعل كل ما بوسعي لأضمن عدم زواجك به أيضاً!».

ابتلعت ريقها بصعوبة لتسأله: «حقاً ستفعل؟».

أكد لها بإصرار: «حتماً. لن اسمح بأن يصبح جزءاً من عائلتي بأي طريقة ولو عبر الزواج!».

جلّ ما أراده هو ضمان عدم ارتباط عائلة ماك غراث بغاريث بأي طريقة كانت!

تغضن وجهها وقالت: «ستواجه مشاكل في محاولة إقناع سارة أكثر مني أنا!».

أجابها بشيء من الغموض: «سنرى. أأنت واثقة من أنك لا تريدين أن أقلك بنفسي ليلة الميلاد؟».

أكدت له بغصة: «واثقة».

أومأ بنفاد صبر وقال: «سأراك خلال بضعة أيام إذن».

أكدت له: «أجل».

لِمَ لا يرحل وحسب؟

لَقد أوضح تماماً نوعية الاهتمام الذي يوليها لها ولمشاعرها المفترضة نحو غاريث، فلِمَ لا يرحل؟

قبل أن تبدأ بالبكاء مجدداً!

هزّ باتريك رأسه بغضب وهو لا يزال ينظر إلى وجهها: «أملك طرقاً لمسح دموعك وتجفيف وجهك».

اتسعت عينا إيليا وهي تهمس: «إلى أين ستصل بذلك؟».

اعترف بنفاد صبر: «لا مكان حتماً إنما سيشعرني ذلك بتحسن كبير».

ويحوّلها إلى كتلة من المشاعر.

إستقامت لتدافع عن نفسها وقالت: «لا أظن ذلك، شكراً لك».

التوت شفتاه في ابتسامة خالية من المرح وقال: «ولا أنا».

تنهد وخرج بصمت قبل أن يغلق الباب وراءه بهدوء. تقوس كتفا إيليا ما أن خرج وباتت وحدها.

كم تستطيع أن تتحمل بعد؟ كم من المفترض بها أن تحتمل بعد؟

١٣ - سأعود

- توبي، هلا تساعدني في إقفال سحابةالفستان؟

وصمتت عن الكلام فجأة، حالما أكتشفت أن من يجلس في غرفة الجلوس ليس توبي كما كانت تتوقع بل باتريك. واستدارت لتصبح قبالته تماماً وهي تتشبث بفستانها وتمتمت: «ظننت أن توبي يجلس هنا...».

متى وصل باتريك؟ لم تسمع جرس الباب يدق. لكن إذا أعادت التفكير في الأمر فستجد أن الجرس لم يقرع أبداً أثناء زياراته الأخيرة إلى منزلها كما لم تكن زياراته متوقعة أصلاً.

وضع باتريك من يده الصحيفة التي كان يقلب صفحاتها من دون اهتمام وقال: «كان يجلس هنا لكنه اضطر للرحيل ليتمكن من استقبال الضيوف الوافدين مع تيريزا. ذكرت شيئاً عن إقفال سحابة الفستان؟».

طرح سؤاله الأخير بسلاسة وثقة الرجل الأنيق الذي بدا ساحراً الليلة ببذلته السوداء الرسمية وقميصه الناصع البياض.

صحيح أنها تحتاج لإقفاله لكن هذا كان قبل ان تدرك أن باتريك هو من في الغرفة وليس توبي!

قطبت وقالت: «سأتدبر أمري. لا بأس بالنسبة إلى توبي. لكن ماذا تفعل أنت هنا؟».

لو ان توبي أخبرها أن عليه أن يتوجه باكراً إلى منزل ماك غراث

www.liilromancia.com

لجهزت نفسها في الوقت المحدد له لتتمكن من مرافقته. كما انها قادرة تماماً على طلب سيارة أجرة.

هز باتريك رأسه بلامبالاة وقال: «أخبرتك أنه من المقرر أن يكون توبي مع تيريزا عند وصول أول الضيوف...».

أجابته إيليا بنفاد صبر: «لقد فهمت ذلك الجزء من الجملة، لكني لست واثقة من الذي قرر أن تكون أنت هنا».

أغفل سؤالها وقال: «وهل لذلك أهمية؟».

هزّت إيليا رأسها بحيرة إذ لم تستوعب كثيراً هذا الترتيب الأخير.

قال لها باتريك بلهجة خشنة: «استديري لأسوي لك سحابة الفستان».

اشتدت يداها على القماش. إنه فستان آخر اشترته من دون عنق أو كمين، وهو يصل إلى الركبتين.

كرر كلامه مشجعاً: «قلت لك استديري».

كان الوضع محرجاً وكادت تموت احراراً. فإن ظهر الفستان يكشف الكثير الكثير. لكن النظر إلى وجه باتريك أعلمها ان لا مجال للجدل أو تقديم الاعذار فتنهدت بثقل واستدارت ببطء.

انتظرت لثوانٍ طويلة ولم يتحرك فنظرت إليه من فوق كتفها لترى ما المشكلة.

كان باتريك ينظر إليها بعينين مظلمتين وتعابير وجهه غامضة فيما النبض عند أسفل عنقه يتسارع.

عادت واستدارت بسرعة وشجعته وهي تشعر برعشة خفيفة: «سوف نتأخر إن لم نغادر قريباً».

لم تكن واثقة كيف تتصرف حيال ملامح وجهه غير المقروءة. لو كان رجلا آخر غير باتريك لعرفت كيف تتصرف معه بسهولة، لكن باتريك لا يشبه أي رجل التقته!

هم بإغلاق السحابة فلامس إصبعه بشرتها التي شعرت بها تحترق كما أحست بالدم يتوقف في عروقها. وكأن شيئاً ما منعه فتوقف!

ما الذي يفعله؟ تساءلت إيليا بمزيج من اللذة والحزن: اللذة لانها أحبت تلك اللمسة المقتضبة والحزن لأن تجاوبها مع تلك اللمسة أخبره إنها احبتها!

واستقرت راحتاه على كتفيها!

ابتلعت ريقها بصعوبة فائقة. لم تكن واثقة كم تستطيع أن تحتمل بعد قبل أن تستدير وتذوب بين ذراعيه ما سيلغي كل ما فعلته طوال الاسبوع المنصرم وما بذلته من جهد لوضع مسافة بينهما.

ذكرته بإصرار وهي تبذل قصارى جهدها لتضبط أعصابها: «السحابة باتريك».

تمتم بإعجاب وكأنه لم يسمعها أو أنه سمعها لكنه تعمد تجاهل ما قالته: «وإن لم اشأ؟ ماذا لو لم أرغب في إقفال السحابة. هذا أفضل. لطالما قدرت جمالك وعرفت أنك رائعة منذ رأيتك في الحديقة ذاك الصيف...».

أجابت إيليا بحدّة بعد أن ابتعدت بسرعة واستدارت لتحملق فيه: «لا بأس سأتدبر أمري. أظن انه من غير اللائق أن تعيد تذكيري بذاك اليوم في الحديقة!».

كانت عيناها تلتمعان غضباً ووجنتاها تحترقان خجلاً!

لمَ لا يدّعي باتريك أنه نسي ذلك اليوم في الحديقة؟ فهي ليست المرة الاولى التي يذكرها فيها انه رآها تأخذ حمام شمس.

تنهدت من أعماقها واستدارت تهرب من الغرفة قبل أن يتمكن حتى من منعها: «سأعود في غضون دقائق!».

كان ذلك مريعاً! مريعاً جداً! وهذه ليست سوى بداية عطلة الميلاد، العطلة التي وافقت عليها أخيراً بعد ان سمحت لتوبي بإقناعها

بتمضيتها مع عائلة ماك غراث. علماً أنه لم يترك لديها العديد من الخيارات عندما أخبرها أنه لن يذهب إن رفضت هي الذهاب.

لكنها ستكون ثلاثة أيام جهنمية إن لم يلتزم باتريك بوعده ويبقى بعيداً عنها!

قال بخفة وقد رآها تنزل الدرج بعد بضع دقائق: «جاهزة؟».

رمقته إيليا بقلق، وقد أخرجت الشال من الصندوق ولفته حول كتفيها.

أجابته ببطء وهي تنظر إلى الملابس التي وضعتها في الحقيبة وتركتها في الممر: «ليس لدي سوى حقيبة يدي وحقيبة الملابس لآخذها معي».

انحنى باتريك وحمل حقيبة إيليا التي تحوي حاجياتها وهدايا الميلاد التي جلبتها لأفراد عائلة ماك غراث ثم استقام يبتسم لها، ويقول: «وكأننا نهرب إلى مكان ما معاً في عطلة نهاية الأسبوع».

كان يغيظها فرآها تقطب منزعجة.

بدا أن احمرار وجنتيها لن يفارقها. قالت له بحدة: «لا أعرف شيئاً عن الهرب بهذا الشكل!».

لعلّه أكثر خبرة بتمضية عطلات نهاية الأسبوع بهذه الطريقة. أما تجربتها هي فمعدومة في هذا المجال!

- سأتحقق من المنزل مرة جديدة لأتأكد من أن كل الاضواء مطفأة.

لن تنتفع شيئاً إذا ما احترق المنزل في غيابها!

أومأ باتريك: «سأضع أغراضك في السيارة بينما تفعلين ذلك».

أخذت إيليا نفساً عميقاً بعد أن غادر الغرفة وتحركت ببطء في أرجاء المنزل لتتحقق مجدداً من أنها أطفأت كل الاضواء وأطفأت أنوار الشجرة ايضاً. لطالما بعثت الشجرة المظلمة الوجوم في نفسها.

نظرت إيليا بحزن إلى الغرفة وهي تفكر في سرّها بأن عطلة نهاية الميلاد ستنتهي بعد ثلاثة أيام.

من الغريب أن تفكر...

ما الذي يحدث؟

تناهت إليها أصوات مرتفعة من الخارج، لم تبدُ أصوات مارة مرحين بل بدت أصواتاً غاضبة.

وأدركت غير مصدقة أنهما لباتريك وغاريث!

خرجت إيليا من غرفة الجلوس وعبرت المطبخ متجهة نحو المرآب لتصل في الوقت المناسب كي ترى باتريك يلكم غاريث على ذقنه!

توقفت فجأة مرتعبة بعد أن ترنح غاريث تحت تأثير اللكمة لكنه بقي واقفاً على قدميه واستجمع قوته ليلكم باتريك على عينه اليمنى...

ماذا يحدث؟

ظل باتريك واقفاً على قدميه فيما بدت تعابيره باردة وغاضبة ثم ارتفعت قبضته في الهواء مجدداً لتلكم غاريث.

صرخت إيليا محذرة: «باتريك».

جمدهما صوتها واستدارا لينظرا إليها!

لكن ليس قبل أن يلكم غاريث على ذقنه ليوقعه على الأرض التي تغطيها طبقة رقيقة من الثلوج.

سارعت إلى كلا الرجلين قائلة: «ماذا تظنان نفسيكما فاعلين؟».

بدا الجو مثقلاً بالتوتر والغضب وهي تنقل نظرها بينهما.

جلس غاريث على أرض الممر ورفع يده إلى ذقنه وهو ينظر إلى الرجل الآخر بلوم. كان باتريك يقف فوق رأسه وقبضتاه مشدودتان إلى جانبيه.

أخذت إيليا نفساً عميقاً وهي لا تزال غير قادرة على تصديق ما

يحدث: «قلت...».

وقف غاريث ببطء ينفض الثلج عن سرواله ليقاطعها بنبرة حاقدة: «لا تحاولي ادعاء انك لم تشاركي في هذا كله مثل صديقك!».

ردّ باتريك بخشونة: «دع إيليا خارج الموضوع. لِمَ لا ترحل وحسب؟».

هز غاريث رأسه وضاقت عيناه كرهاً وهو ينظر إلى الرجل الأكبر سناً منه ويقول ببطء: «لن أذهب إلى أي مكان».

علّق باتريك ببطء: «لن تذهب هذا صحيح».

نظرت إيليا إلى الرجلين وشعرت بتصاعد حدة التوتر بينهما مجدداً ما يعني أنهما سيعودان إلى ضرب بعضهما البعض في أي لحظة! طالبتهما بإصرار: «هلا أخبرني أحدكما ما الذي يجري بالضبط؟».

التوت شفتا غاريث بسخرية وقال: «هل تعتقدان أني سأرضى بالأمر الواقع وأجلس مكتوف اليدين؟ أؤكد لكما...».

- بدا لي أنك كنت جالساً منذ بضع لحظات وإن رغماً عنك.

كان باتريك يستفزه. وأدركت إيليا مذهولة ان ذلك ليحصل على سبب وجيه ليلكم غاريث مجدداً. صعد الدم الحار إلى وجنتي غاريث: «أيها...».

أمرتهما إيليا بنفاد صبر: «هلا كففتما عن هذا؟ يصادف انكما تتضاربان أمام منزلي ما يمنح الجيران موضوعاً دسماً ليتحدثوا عنه طيلة فترة الميلاد!».

سبق أن رأت الستائر تفتح خلف نوافذ البيت المقابل. لا شك أن الثنائي الذي يعيش هناك تنبه إلى حدوث شجار عندما سمع الأصوات كما فعلت هي...

وأضافت بنبرة متهمة: «إن كان لا بد من إكمال ذلك فادخلا

على الاقل إلى المنزل. لكن لا يفكر أحدكما بضرب الآخر هنا مرة أخرى، ولا أريد أن تتكسر أغراض منزلي ايضاً».

واستدارت وغادرت.

يكفي أن كل ما فيها تكسر، وقلبها بات مفتتاً إلى أجزاء!

وكانت لا تملك أي فكرة عما اشعل نار الشجار بينهما!

لكنها تنوي حتماً الاّ تدع السهرة تمر دون أن تحصل على شرح وتفسير من أحدهما.

لحسن الحظ أنهما لحقا بها إلى داخل المنزل، قطبت إيليا وهي تنظر إليهما حين اصبح الثلاثة في غرفة الجلوس. بدت تعابير وجه غاريث مشحونة بملامح المحارب وهو يحملق في الرجل الاخر. أما تعابير باتريك فدلت على رضى هادئ أثار فضولها. لكنها توجهت بالسؤال إلى غاريث: «ما الذي تفعله هنا؟».

حتى لو غادرت هي وباتريك في هذه اللحظة فسيتأخران عن موعد بداية الحفل عند الساعة الثامنة. أما غاريث بسرواله القطني الأسود وكنزته فلم يكن مستعداً بعد لحضور الحفل.

أجابها غاريث: «أعلم صديقك أن المسألة لم تنتهِ بالنسبة لي بعد».

تمنّت إيليا حقا لو يتوقف عن وصف باتريك بصديقها!

نظر باتريك إلى الشاب الآخر بسخرية وقال له محذراً: «بأي طريقة لم تنتهِ الأمور دايفيس؟ إن لم أكن مخطئاً فقد منحك جورج فرصة ثلاثة اشهر في شركة ديلاكورت بعد أن أعلن عدم رغبته في رؤيتك مجدداً. وأعتقد أن خطوبتك مع سارة ستنتهي إلى الأبد كذلك!».

لم يعد رضاه هادئاً!

اتسعت عينا إيليا. ما الذي حصل بحق السماء؟ منذ أربعة أيام

وحسب كان لا يزال شريكاً في شركة ديلاكورت، وكانت خطوبته من سارة راسخة على ما يبدو...

لكن ما من شك في أن غاريث لايرتدي الملابس المناسبة لحضور الحفل، حفل خطوبة توبي وتيريزا هذا المساء...

التوت شفتا غاريث بتعجرف وقال: «تظنان أنكما ذكيان، أليس كذلك؟ هل تظنان أني سأرحل بهدوء؟ لقد طردني جورج لسبب شخصي ما يعتبر في المحكمة...».

قاطعه باتريك بثقة: «لا يحتاج لسبب. أنت تفاجئني دايفس، كان عليك فعلاً أن تقرأ البند الصغير في عقد توظيفك، فهو ينص بوضوح على إمكانية إعطائك إنذار مدة ثلاثة أشهر لأحد الطرفين من دون أي شرط وذلك ضمن فترة سنة من توظيفك. كم مضى على توظيفك في شركة ديلاكورت حتى الآن...؟».

تمكنت إيليا من رؤية تعابير الدهشة إلى وجه غاريث لعدم تنبهه حقاً لهذا البند المحدّد في عقد التوظيف.

وتابع باتريك كلامه بسخرية: «أما بالنسبة إلى خطوبتك من سارة فأعتقد ان من طبع النساء تغيير رأيهن».

باتت تعابير غاريث بشعة الآن وهو يقول بغضب: «بمساعدة كبرى وتدخل من العائلة!».

هزّ باتريك كتفيه بغير اهتمام: «ربما، لكن هذا لا يغيّر حقيقة أنّ سارة غيّرت رأيها».

الارتياح الذي شعرت به إيليا لسماع هذا الكلام طرد أي شكوك لديها حول سبب تقاتل الرجلين أمام باب منزلها على مرأى من الجيران. لم تكترث كيف توصل باتريك إلى ذلك، كل ما يهمها هو تخلّص سارة من شباك وصولية غاريث!

لكن مشاعر غاريث من جراء فسخ الخطوبة كانت مختلفة تماماً

كما يبدو إذ استدار نحو الرجل الآخر قائلاً: «أيها المعتد بنفسه...».

وتقدم خطوة نحو باتريك فقالت إيليا بحزم: «قلت لا عراك هنا غاريث!».

عندئذ، التفت غاريث إليها بحنق ليقول: «أما بالنسبة إليك...».

ذكّره باتريك بنبرة خطرة ناعمة: «أعتقد أني قلت لك أن تدع إيليا خارجاً».

كانت قبضتا الشاب مشدودتين إلى جانبيه وهو يتكلم بغضب واحتقار مريرين: «ما أراه هو أنها متورطة في هذا حتى أذنيها الجميلتين! آمل أن تدركي أنه لن يتزوجك. فعائلتنا ماك غراث وديلاكورت تظنان أنهما اعلى شأناً من الارتباط بأمثالي وأمثالك».

ابتلعت إيليا ريقها وهي تشعر بأن اللون غاب عن وجنتيها، وأملت من صميم قلبها ألا يلاحظ الرجلان كم آذتها ملاحظة غاريث الأخيرة. بالطبع لن يفكر باتريك في الزواج منها، فهذا الاحتمال ليس وارداً اصلاً. لكنها كانت قادرة على التعايش مع ذلك من دون أن يرمي أحدهم بهذه الحقيقة في وجهها لاسيما من فم رجل تمقته بعمق.

كان باتريك من أجاب الرجل باحتقار: «كيف يمكن لك أن تفكر في ذلك دايفيس؟ إننا نحتفل الليلة بخطوبة أختي وشقيق إيليا».

فأجاب الشاب بسخرية: «الخطوبة ليست زواجاً».

واستدار نحو إيليا ينظر إليها بشفقة ويحذرها بمكر: «إنها مجرد علاقة، ان لم يكن أقل من ذلك».

أمرت غاريث وهي ترتجف: «اخرج».

أكد لها وهو يرفع يده ويلامس فكه المجروح: «سأخرج، لكنني

سأعود».

حذّره باتريك ببرود وتحد قائلاً: «في هذه الحالة احرص على أن تعود الي أنا. إن اقتربت من إيليا مجدداً فستعرف ما هو شعور من يكون في الطرف الآخر في المحكمة. وهذا ما لا أظنه يسدي لسيرتك المهنية أي خدمة».

احمرت وجنتا غاريث غضباً وهو يقول: «لا تهددني ماك غراث».

لكنه لم يكن يؤمن كثيراً بما يقوله. ولاحظت إيليا أن إمكانية ان ينتهي به الأمر في المحكمة كمتهم وليس كمحامي دفاع لا يعجبه.

لا بد أن باتريك لاحظ ذلك ايضاً فأتت ملاحظته التالية ليؤكد ذلك، إذ قال باحتقار: «اعتقد أن أفضل ما تفعله دايفيس هو أن تختفي وتعود إلى مجرور الصرف الصحي الذي خرجت منه».

ازداد احمرار وجنتي غاريث وهو يوجه إهانته التالية لإيليا: «اتصلي بي عندما ينتهي منك ويقطع علاقته بك، من يعلم قد أرغب في متابعة علاقتنا من حيث انتهت».

وبنظرة أخيرة حقودة وجهها إلى باتريك غادر غاريث الغرفة مقفلاً الباب وراءه بشكل مزعج.

الصمت الغريب الذي ساد في المكان بعد رحيله جعل إيليا تختنق...!

ما الذي سيظنه باتريك بها الآن؟

١٤ - ثنائي الباندا

- هل هي مخيلتي تصوّر لي أن لدى باتريك بداية اسوداد حول عينه؟

استدارت إيليا بحدة لسماع صوت سارة. كانت هي نفسها تنظر إلى باتريك عبر الغرفة اثناء التحدث إلى إحدى عماته، وقد أدركت عند وصولهما إلى الحفلة منذ ساعة أن عائلة ماك غراث كبيرة وأن باتريك هو المفضل لدى الجميع.

نظرت إلى سارة بقلق وأجابتها بسؤال متحفظ: «عذراً؟».

كانت ابتسامة سارة منقبضة نوعا ماً، لكنها بدت جميلة كحالها دوماً بفستانها الاحمر القصير. مدت الفتاة يدها ووضعتها على ذراع إيليا برفق قبل ان تقول وهي ترفع حاجبيها: «أرجوك إيليا لا تنظري إلي هكذا كلما رأيتني. ففي النهاية، كنا محظوظتين بفراره».

تغضن وجه إيليا. المشكلة هي أنها لم تكن تملك أي فكرة حقاً عن سبب انهاء خطوبة غاريث وسارة، كانت الساعة قد تجاوزت الثامنة عندما خرج غاريث من المنزل غاضباً وبدلاً من التوقف لوضع قطعة ثلج على عين باتريك، غادرا إلى الحفلة بسرعة. علماً أن قطعة الثلج ما كانت لتفيده كثيراً إذ تحوّل محيط عين باتريك إلى اللون الاسود!

أكدت لها بسرعة: «أجل، صحيح أن عين باتريك زرقاء».

في الواقع، سيزداد الوضع سوءاً ليضاهي وضع ذراعيها اللتين

www.elromancia.com

باتتا بألوان قوس قزح! حين يغضب غاريث يمكنه أنه يكون بغاية العنف!

قطبت سارة وهي تنظر إليها: «أفترض أني أخطئ كثيراً إن فكرت أن غاريث لا علاقة له بالأمر».

تنهدت إيليا وهزّت رأسها قائلة: «أخشى ذلك».

هزّت سارة رأسها وهي تحدق في إيليا ثم تمتمت بقرف: «كيف يمكن لامرأتين مثلنا ان تكونا بهذا الغباء في ما يتعلق بغاريث؟».

لم تتمكن إيليا من منع نفسها من الضحك، وبعد مرور بضع لحظات من الذهول ارتمت الشابتان في أحضان بعضهما البعض وهما تضحكان.. وبعد لحظات، استقامت إيليا في وقفتها بعد أن أدركت ان ضحكهما بات يأخذ منحى هستيرياً وأنهما تلفتان أنظار الكثيرين.

تناولت سارة من خادم مر بهما كوبي صودا وسلّمت أحدهما إلى إيليا لتشربا نخباً: «نخب التحرير».

مهما كان سبب فسخ خطوبة غاريث وسارة، شعرت إيليا بالرضا لرؤية الشابة تشفى سريعاً من خيبتها.

لم تستطع الا أن تعجب بالشابة إذ لم يكن سهلاً على سارة القدوم إلى هنا الليلة فلم يمض على إعلان خطوبتها سوى بضعة أيام. خطوبة فسخت فجأة.

ردد صوت إيليا كلمة «التحرير» بحزم قبل ان تأخذ رشفة من الصودا البارد. وتقول: «سارة...».

أكدت لها سارة بابتسامة لم يصل إشراقها إلى عينيها: «لا بأس حقاً إيليا، لا أزال أشعر بنوع من الصدمة لكني سأتخطى الأمر. ماذا عنك؟».

هزّت إيليا كتفيها وقالت: «تخطيت أمر غاريث منذ أشهر!».

لتقع بمرض باتريك الذي لا شفاء منه!

أومأت سارة بمكر: «أعتقد أني من يقع اللوم عليه لما حصل لك بالنسبة لـ... لـ...».

قالت إيليا بلامبالاة: «أجل فعلاً كنت الملامة. حمداً لله لأن غاريث لم يؤذك بأي طريقة. هل فعل؟».

أطلقت الشابة ضحكة خالية من الفرح، وتغضن وجهها لتقول: «كبرياني لا تسمح بذلك، لا أستطيع ان أصدق كيف ظننت يوماً أنه شخص رائع! بان على حقيقته حين اخبرته عن التصاميم التي ارسلتها لجاك وأني افضل ان أؤجل مسألة الزواج لفترة بحيث أتمكن من العودة إلى باريس لستة أشهر. ظنّ أنك وباتريك لكما علاقة بقراري وهذا ما وجدته مثيراً للحيرة في البداية. لكنه استمر بالحديث وذكر شيئاً عن امرأة تشعر بالمهانة، وأنها قد تقول أو تفعل أي شيء كي نفسخ خطوبتنا. وسقط القناع أخيراً وأدركت انكما كنتما تتواعدان إلى حين عودتي من إنكلترا منذ بضعة اشهر. لمَ لم تخبريني إيليا؟ لو كنت مكانك لرغبت في اقتلاع عيني المرأة المنافسة!».

هزّت إيليا رأسها وقالت: «كنت أعلم حينئذ من هو غاريث. كنت قد اكتشفت حقيقته وإن رغبت في شيء حقاً فهو تحذيرك منه».

أخذت سارة رشفة من كوب الصودا وسألت بفضول: «ولِمَ لم تفعلي ؟».

نظرت عبرالغرفة إلى حيث وقف باتريك يتحدث إلى والديه وتغضن وجهها وهي تجيب: «اقنعني باتريك بعدم فعل ذلك لأنك لن تصدقيني على الارجح».

نظرت سارة إلى قريبها ورفعت حاجبها تفكر وتسأل: «هل فعل؟».

أومأت إيليا: «إذن، ما الذي حدث وجعلك تغيرين رأيك

بالنسبة إلى غاريث؟».

قطبت سارة جبينها مجدداً وقالت: «حسناً، لم أكن سعيدة بمسار الأمور ولا بالأمور التي ذكرها عنك وعن باتريك. لعلك أدركت أن باتريك شخص مميز بالنسبة إليّ. ومع أننا لم نلتق كثيراً خلال العام الماضي إلا أننا كنا انا وانت صديقتين لزمن طويل. ما قاله عنكما كان سيئاً بما يكفي لكن الأمور وصلت إلى ذروتها حين بدأ بإهانة أبي».

نظرت إيليا اليها غير مصدقة وسألت: «أبوك».

هل غاريث أحمق تماماً؟ أو لعله من الغرور بحيث لا يدرك أنه اقترب من منطقة الخطر؟

ابتسمت سارة ثم هزّت رأسها وقالت: «عدم إهانة والد الفتاة هي القاعدة الأولى التي يجب أن يتقيد بها الخطيب! أنا أعشق والدي إيليا».

أكدت لها بحنان: «وهو يحبك كثيراً أيضاً».

أومأت سارة وقالت: «من الواضح أن غاريث أغبى من أن يدرك ذلك كما أنه اغتاظ لأن موعد حفل الزواج لم يُحدد كما يريد!».

سألتها إيليا بحذر: «وهل أدركت السبب وراء ذلك الآن؟».

اعترفت سارة: «أجل. لا تقلقي إيليا عيناي مفتوحتان الآن جيداً على كل ما يتعلق بغاريث دايفيس!».

أعلن باتريك بسعادة وهو ينضم إلى الشابتين: «يسرني سماع ذلك كثيراً».

أحست إيليا بالتوتر إذ لم تلاحظ اقترابه منها. ونظرت إليه وهو يقف قربها لترى ان اللون حول عينيه يتحول إلى بنفسجي.

رد نظراتها من دون ان يرف له جفن وسألها: «ماذا عنك انت؟

إيليا هل عيناك مفتوحتان جيداً الآن؟».

أيعني غاريث؟ أم يقصد شيئاً آخر...

أجابته: «ينبغي أن نضع شيئاً بارداً على عينك؟».

انقبضت ملامح سارة وهي تنظر إليه وتقول: «هل تؤلمك؟».

هز كتفيه وقال وهو يشعر بالرضا عن النفس: «كلا، ليس بقدر ما يتألم دايفيس من فكه كما أظن».

ضحكت ابنه عمته وقالت: «آمل ان تكون قد سددت له لكمة!».

تغضن وجه باتريك وهو يقول: «أظن انه سيواجه صعوبة في تناول الطعام لبضعة أيام».

فقالت سارة بحزم: «جيد».

استدارت نحو إيليا وضغطت على ذراعيها بخفة قبل أن تقول وهي تبتسم بإشراق: «أنا مسرورة فعلا للحديث الصغير الذي جرى بيننا، لكن هلا تعذراني الآن لأني أود الانضمام إلى أبي لاخبره كم هو رائع».

شجعها باتريك: «انا واثق ان العم جورج سيسر بذلك».

ضحكت سارة برقة: «آمل ذلك. أراكما لاحقاً».

ساد الصمت بعد رحيل سارة التي شقت طريقها بين الحشود إلى حيث وقف أبوها متحدثاً إلى والدي باتريك. لم يكن الصمت غريباً بل متوقعاً...

قال باتريك بسرعة: «انا واثق من ان ثمة ما يمكن وضعه على عيني في الثلاجة. هل ترغبين في مرافقتي؟».

لمَ لا؟ سبق أن تم اعلان الخطوبة وكان توبي وتيريزا موضع اهتمام الجميع الآن. أمّا العشاء فسيقدم بعد ساعة.

وافقت إيليا: «إن كنت تظن أني قد أساعد».

نظر إليها باتريك باهتمام وقال: «لست واثقاً من أنك مستعدة لسماع ما أظنه فعلاً إيليا».

نظرت إليه متفحصة. هل هي مخطئة أم أنها لمحت نظرة شقية في عينيه وسمعت نبرة ماكرة في صوته؟

أخذت نفساً عميقاً وابتلعت ريقها بصعوبة لتقول له: «باتريك ما الذي دفعك بالضبط للقدوم إلى منزلي الليلة؟».

هز كتفيه وقال: «بعد فسخ خطوبة سارة ودايفيس كنت أعلم أن خطوته التالية ستكون بالذهاب إليك».

توقعت ذلك بنفسها سابقاً فسّلته بسرعة: «و؟».

- إيليا هل تظنين أننا نستطيع الخروج من بين هذا الحشد قبل ان أجيب عن سؤالك؟

وقبل ان ينتظر إجابتها أمسكها من ذراعها بحزم ونفاد صبر وقادها خارج غرفة الجلوس عبر الممر المزين بباقات الأزهار الجميلة والشرائط الحمراء ليصلا إلى المطبخ في آخر المنزل.

وكما توقعت إيليا تماماً كان منزل عائلة ماك غراث يضاهي روعة وضخامة منزل ديلاكورت. فالمطبخ الواسع من خشب السنديان وقد عُلقت عشرات الأوعية النحاسية فوق طاولة تحضير الطعام.

قطب باتريك جبينه حين رأى عدداً من الخدم يعملون على وضع اللمسات الاخيرة على عشاء الليلة وسأل بنفاد صبر: «ألا يوجد مكان في هذا المنزل نستطيع ان نكون فيه لوحدنا؟».

شعرت إيليا بالدفء لرغبته في التحدث إليها على انفراد.

هدأته وهي تنظر بتعاطف إلى احدى الخادمات التي نظرت اليها بفضول وقالت لباتريك: «كادوا ينتهون، لِمَ لا ترى بنفسك إن كان هناك شيء تضعه على عينك؟».

- تباً لعيني!

وجرّها من يدها خارجاً من المطبخ ليعود إلى الممر ومنه إلى غرفة اخرى. وقال برضى وهو ينظر إلى الغرفة الفارغة: «جيد».

أغلق الباب وراءهما فأحاطت بهما نعمة الصمت على الفور.

رمقت إيليا باتريك بنظرة ملؤها الحيرة وذكرته أخيراً بالسؤال: «و؟».

قطب جبينه وقال: «قدمت إلى منزلك الليلة لأنني... لأنني...».

حثته إيليا بأنفاس مقطوعة بدأت تتصاعد من داخلها: «أجل لأنك ماذا؟».

أخذ باتريك نفساً عميقاً ليقول بإصرار وهو ينظر إلى إيليا التي كانت تحدق فيه بصمت: «إن جاء دايفيس إلى منزلك بهدف إيذائك أنوي إيقافه. وإن جاء بهدف إقناعك بالعودة إليه فكنت أنوي إيقافه ايضاً كما وعدتك أني سأفعل».

كانت نظراته محملة بالتحدي ونفاد الصبر. تحد لم ترغب إيليا بمقابلته. كان الأمل يتصاعد من أعماقها بزخم جعلها بالكاد تتنفس، فكيف لها ان تتكلم.

ظنت بل أملت انها تعرف السبب، لكنها لم تكن متأكدة...

طالبها باتريك حين اصرت على التزام الصمت: «إيليا قولي شيئاً».

هل الوقت أو المكان مناسبين لتفقد الكبرياء. التي حاولت بجهد التمسك بها؟ وهل هذا هو الزمان والمكان المناسبين؟

همس بخوف: «واجهت لأيام مشكلة في منعك من قول أمور لا أرغب في سماعها والآن أريدك أن تقولي شيئاً، أي شيء. كأن تقولي مثلاً انه تخلى عنك. اسمعي إيليا تعبت من انتظار ان تعودي إلى رشدك وأقسم أني إن لم تقولي شيئاً بسرعة فسأحمل محبرة أبي المفضلة

وأرميها من النافذة».

لم تستطع إيليا منع نفسها من الضحك لكنها تمالكت نفسها أخيراً لتقول: «وبِمَ سينفعك ذلك؟ ستتلف المحبرة وينتشر الحبر في الهواء البارد خارجاً!».

– هذا أفضل من الرغبة العارمة التي أشعر بها الآن في خنقك!.

ملأت الدموع عينيها. لم تكن دموع حزن بل فرح وهي تقول: «آه باتريك».

لم تستطع أن تتكلم بسبب المشاعر التي كادت تخنقها.

لانت ملامحها فتقدم منها ليأخذها بين ذراعيه ويضمها إليه قائلاً: «لم أعد أستطيع التحمل إيليا، أحبك. أحببتك منذ مدة طويلة. يبدو أنني أحببتك منذ اللحظة التي ذهبت فيها إلى منزلك في ذاك الصيف وخرجت إلى الحديقة ورأيتك مستلقية هناك...».

– باتريك.

احتجت مجدداً لانه يذكرها بمدى الإحراج الذي شعرت به حين رآها في الحديقة. لكنها عادت وارتمت بين ذراعيه وقد استوعبت كلماته وفاضت مشاعرها. وقالت: «باتريك هل قلت للتو إنك تحبني؟».

ونظرت إليه غير مصدقة.

أوماً وقد ابتسم ابتسامة عريضة ثم نظر إليها وقال متنهداً: «بعد كل ما فعلته بي! كنت مقتنعاً بأن الوقوع في الحب تجربة ممتعة وليست تجربة تشعرني وكأني مسيَّر فاقد كل منطق. قد يساعدني طبعاً إن كانت المرأة التي أحبها تبادلني هذا الحب، لكن في هذه الحالة...

قاطعته إيليا بحماس ويداها تضغطان على ذراعيه بعد أن شعرت وكأنها ستنفجر من السعادة: «لكنها تفعل، أقصد أنني أفعل».

سألها باتريك ببطء: «فعلاً؟».

أكدت له وهي تبتسم بخجل: «أجل أفعل».

رمقها بنظرة مشككة وقال: «لكنك بكيت تلك الليلة حين رحل غاريث فجأة».

– بسبب إهانته لي أمامك يا باتريك لأنه جعلني أبدو كأنني... لقد قلت ما قلته لأني كنت أحاول إخفاء حقيقة أني أغرمت بك.

تنهد وقال: «كدت أجن كل تلك الفترة من الشعور بالغيرة. إيليا هل تحبينني بما يكفي لتمشي في ممر الكنيسة متأبطة ذراع توبي الذي سيسلمك إلي وتقفين أمام الكاهن لنتلو العهود أمام أفراد العائلة والأصدقاء كلهم؟».

هل كان باتريك يطلب يدها للزواج؟ بدا الأمر كذلك حتماً!

لكنه تمتم قبل أن تتمكن إيليا من إجابته عن سؤاله: «علاقة لا معنى لها، وكأن هذا ما كنت أنتظره منك. أحبك اليزابيث فايرفاكس فهل تقبلين الزواج بي؟».

ابتلعت دموعها وهي تنظر اليه بحب وتجيبه بسعادة: «أجل».

اتسعت عيناه: «هل ستفعلين؟».

أكدت له بمحبة: «أجل أفعل».

أغمض عينيه قليلاً وكأنه لا يصدّق تماماً ما سمعه للتو. وكانت عيناه تلتمعان كالفضة وهو يفتحهما مجدداً وينظر إليها.

– حبيبي باتريك.

رفعت إيليا يديها لتلامس وجنتيه برفق من دون أن تقوم بأي جهد لاخفاء مشاعرها نحوه مدركة مدى تأثره بلمسة يديها وسألته: «لِمَ لم تخبرني بذلك قط من قبل ولم تظهر لي مشاعرك نحوي؟».

– لأني حين أثرت مشاعري علمت من توبي انك تواعدين دايفيس وأنكما على هذا الحال منذ اشهر عدة. لم يكن هذا افضل

خبر سمعته في حياتي والصبر ليس من صفاتي لكني رأيت أني لا املك سوى أن أنتظر وأنه لن يعوضني عنك أحد بعد ان رأيتك لأول مرة.

بالكاد استطاعت إيليا ان تصدق ذلك، فباتريك كان مغرماً بها منذ أشهر عدة وهي لم تكن تملك أي فكرة!

قطبت وقالت: «لكني توقفت عن رؤية غاريث منذ شهرين...».

هزّ باتريك رأسه وقال: «قررت أن أترك الأمور على حالها لفترة، أن امنحك الفرصة لتتخطي... مهما يكن».

شعر بالانقباض مجدداً لمجرد التفكير في انها كانت تحمل في قلبها شعوراً ما لغاريث لكنه تابع: «كل ما استطعت فعله هو ان أمنع نفسي من احتضان توبي بقوة حين طلب مني منذ ثلاثة أسابيع مرافقتك إلى حفل عشاء ديلاكورت. لقد اهتممت كثيراً بالامر لدرجة أني لحقت بتوبي إلى المنزل ذاك المساء لمجرد أن أحظى بفرصة رؤيتك مجدداً».

وتذكرت إيليا تلك الامسية فقالت: «حين قلت لك لا شكراً. آسفة حقا باتريك لم تكن لدي أي فكرة».

لم تكن تعلم أنه يحبها منذ أشهر، ولم تدرك انها كبتت مشاعرها كل ذلك الوقت لئلا تعترف بأنها تحبه.

هزّ رأسه وقال: «لم يعد ذلك مهماً الآن إن كنت تحبينني حقاً».

بدا وكأنه لا يستطيع ان يصدقها أو يصدق أن الأمر حقيقة!

لا عجب في ذلك وقد كانت لا تترك مناسبة إلا وتبعده عنها إلى حد أنها ادعت بأنها تكن بعض المشاعر لغاريث!

تنهدت بعمق وقالت: «اسمع باتريك، حين اكتشفت تلك الليلة أمر توبي وتيريزا بعد أن عدنا من العشاء، ظننت أنك كنت تخرج معي لتوحي للاثنين بأني موافقة وتقنع توبي بإعلان الخطوبة. كنت

دقيقاً جداً في وصفك لولاء توبي وإخلاصه وحبه لي وكيف أنه يشعر بالمسؤولية تجاهي...».

اعترض فوراً: «لكن ليس إلى حد أن أغشك على هذا النحو! هل لهذا السبب بردت مشاعرك نحوي فجأة؟ وهل هذا هو السبب الذي جعلك تقولين إنك ما زلت تكنين بعض المشاعر لدايفيس؟».

- أجل.

- حين قلت لك ذلك عن توبي كنت أعلمك وحسب أني سأوافق على أن يكون توبي صهري عندما يحين الوقت وعددت صفاته لتفهمي ذلك لم... إسمعي إيليا لم أخرج معك إلا لأني وقعت في حبك ولانني اعجز عن التفكير بشكل سليم معظم الوقت، هل تصدقيني؟».

ابتسمت له وقالت: «اذا ما قلت لي إن الأولاد الذين ستنجبهم وستعلمهم في مدارس خارجية سيكونون أولادي انا أيضاً».

زال توتره وضمها اليه بقوة ليؤكد لها: «لن يكونوا إلا أولادك أيضاً».

اشتدت ذراعها حول خصره وهي تقول له بشغف: «أحبك باتريك أحبك».

فقال لها بتوق: «أحبك إيليا. هل تمانعين إن تزوجنا فور انتهاء الترتيبات اللازمة؟ لا أعتقد أني أستطيع الانتظار طويلا قبل أن أجعلك لي».

لم تشأ الانتظار أيضاً ورغبت بشدة في ان تصبح زوجة باتريك بقدر ما أرادها أن تكون زوجة له.

وأكدت له بسرعة: «لا أمانع ابداً لكن ربما عليك الانتظار حتى تشفى عينك لأنك تبدو الآن اشبه بباندا».

أغفل مزاحها وقال: «ومن سيهتم ما دمت تقبلين بأن تصبحي

سيدة باندا؟».

كم اختلفت الأمور بعد تلك البداية السيئة والتعيسة لهذه الامسية. كانت تحب باتريك وهو يحبها وسيتزوجان.

كان توبي محقاً، هذا الميلاد هو الأفضل على الإطلاق.

وإن كانت هذه هي البداية فإنها تبشر بقدوم أجمل سنوات حياتها.

بل حياتهما معاً.

باتريك وإيليا!

ما أروع وقع الكلمتين!

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة